بسم الله الرحمن الرحيم

الحرب الأمريكية

من منظور سيد قطب

تأليف
صلاح الخالدي



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، فمن يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الأمة المسلمة في هذه الأيام تواجه هجمةً كافرةً شرسة، تشنها عليها قوى الكفر اليهودية والصليبية، بقيادة أمريكا الظالمة الباغية، وبتوجيه من الشياطين اليهود، الذين يوجهون أمريكا وباقي قوى الكفر، لتحقيق مصالحهم، وتطبيق برامجهم.

وتستهدف هذه الهجمة اليهودية الصليبية الإسلام العظيم، بهدف القضاء عليه، وتغريب المسلمين، ونشر المبادئ والقيم والسلوكيات الغربية الجاهلية بينهم، وسلخ أبنائهم عن هويتهم وأصالتهم، ومصدر عزتهم وقوتهم، وتخريج أجيال جديدة من أبناء المسلمين، غرباء عن أمتهم ودينهم، وأعواناً وأتباعاً للأعداء.

وهم يفعلون ذلك لاستمرار إخضاع المسلمين لهم، لأنهم يعلمون أن المسلمين الصادقين لا يتبعونهم، ولا يذلّون لهم، ولا يوالونهم، وإنما ينحازون إلى إسلامهم، ويواجهون الأعداء الطامعين، ويجاهدونهم جهاداً مبروراً.

وتستهدف هذه الهجمة اليهودية الصليبية بلاد المسلمين أيضاً، من باب الحرص على السيطرة عليها واستعمارها، ونهب خيراتها ومواردها وخاماتها، وعلى رأسها " البترول " عصب الحياة المادية في العالم الآن، والذي جعل الله معظم الاحتياطي منه لعشرات السنين القادمة في بلاد المسلمين.

تريد أمريكا من هجمتها الصليبية على بلاد المسلمين إعادة " استعمار " المنطقة، وإخضاعها للسيطرة والهيمنة الأمريكية، وإعادة رسم الخارطة السياسية والجغرافية لدول المنطقة، وإيجاد أنظمة جديدة تابعة تبعية مطلقة لها، بهدف الحيلولة دون إعادة الإسلام إلى

الحكم والتوجيه، وبهدف نهب الخامات والموارد، وتمكين اليهود من تحقيق برامجهم ومطامعهم التوسعية في المنطقة.

وقد خططت أمريكا لثلاث حروب ضد المسلمين: حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران.. ثم حربُ الخليج الثانية، بإيجاد التحالف العالمي ضد العراق، لإخراجه من الكويت في الظاهر.. ثم حرب أفغانستان في مطلع القرن الحادي والعشرين، بحجة محاربة الإرهاب في الظاهر.

ولعل هذه الحروب الثلاثة تمهيد وتهيئة للحرب الأمريكية الرابعة، التي تحشد لها أمريكا الحشود الآن، وتهيء العالم لها بحرب إعلامية عالمية ضخمة، وذلك بهدف غزو العراق، للقضاء على أسلحة الدمار الشامل فيه، حسب المزاعم الأمريكية الظاهرية.

إن أمريكا تريد من حربها الرابعة – التي تدق طبولها بقوة – الانطلاق من احتلال العراق إلى احتلال بلاد العرب والمسلمين، وإعادة رسم خارطة الدول القائمة، والسيطرة على الموارد والطاقات فيها، والتحكم في منابع البترول فيها.

وبعبارة أخرى تريد إعادة احتلال المنطقة، وإعادة استعمارها من جديد، وهو لن يكون استعماراً إنجليزياً أو فرنسياً، كما كان في مطلع القرن العشرين، وإنما سيكون استعماراً أمريكياً يهودياً.

وهي تريد من هذه الحرب الشاملة البقاء في المنطقة لأطول فترة ممكنة، والتحكم في مستقبل أبنائها، والوقوف أمام الدعاة والعاملين، وتغيير قيم وتصورات وأفكار شعوب المنطقة، وتخريجهم على مناهج الحياة الأمريكية المادية، القائمة على العبودية للشهوات، ونهب خيرات وموارد المنطقة، لتقوية الاقتصاد الأمريكي!

وكثيرٌ من المسلمين لا يدرك هذه الأبعاد الخطيرة لحروب أمريكا السابقة، ولا لحربها الرابعة التي قطعت أشواطاً ومراحل منها، ولم يبق إلا قصف الطائرات وإطلاق الصواريخ، الذي قد يكون في أية لحظة!

واللطيف أن لسيد قطب رحمه الله حديثاً مفصلاً عن حرب أمريكا لبلاد العرب والمسلمين، سجّله في خاتمة كتابه " السلام العالمي والإسلام " – الذي أصدر طبعته الأولى في مطلع عام ١٩٥١ – وبيّن فيه أن أمريكا أوقفت البشرية " على حافة الهاوية "،

وقضت على السلام العالمي، بما تثيره من حروب في العالم، لإحكام نفوذها وسيطرتها عليه.

وتحدث سيد قطب قبل أكثر من خمسين عاماً عن الحرب الشاملة التي تخطط لها أمريكا، وتجعل منابع النفط وما حولها في بلاد المسلمين ميداناً لها، وتجعل ملايين المسلمين وقوداً لها، وتجعل موارد المسلمين تمويلاً لها.

وقد توقع سيد قطب في حديثه عدة توقعات، تحققت في هذه الأيام، كما ذكر فيه مجموعة من الحقائق، تنطبق على التحركات الأمريكية الحالية..

وقد حذف حديث سيد قطب عن الحرب الأمريكية من الطبعات اللاحقة لكتاب " السلام العالمي والإسلام "، رغم أهميته البالغة.

إن حديث سيد قطب عن التخطيط الأمريكي لحرب المسلمين بنطبق على ما جرى، وما يجري الآن، وكأن الرجل رحمه الله يعيش الآن، ويتابع تطورات الأحداث، ويقوم بتحليلها واستنطاقها، وهذا من دقة نظرته، ونفاذ بصيرته، وصدق فراسته، ومعلوم أن الله يهبُ المؤمن البصير الواعي فراسة صادقة، يحسن بها النظر والتحليل والتوقع والاستنتاج.

لذلك أحببت أن أعيد نشر هذا الحديث، لا سيما أنه مفقود، لا يوجد إلا عند من يملك الطبعة الأولى من كتاب " السلام العالمي والإسلام ".

وقد أورد هذا الحديث الأستاذ الأديب محمد الحسناوي في رسالته: " صفحات في الفكر والأدب "، التي أخذت رقم (٤٢) من سلسلة " كتب قيمة "، التي تصدرها دار القلم، وصدرت عام ٢٠٠٠، ودعا الأستاذ الحسناوي إلى إعادة نشر هذا الحديث، لأهميته البالغة.

وقد مهدت لنص الحديث بدراسة مجملة، تكلمت فيها عن الأمور التالية:

الأول: بين إرادة الله وإرادة الأمريكان:

أشرت فيه إلى حرب الأعداء السابقين للأمة المسلمة، من التتار والصليبيين وغيرهم، وفشلهم في ذلك، وإلى وراثة أمريكا للعداوة الصليبية، وحروبها المعاصرة ضدّنا، وأهدافها الحقيقية من حربها التي تحشد لها الآن.. وأنها ستفشل في تحقيقها، وسيكون

مصيرها مصير الأعداء السابقين، لأن الله أراد أن تبقى هذه الأمة، وجعل المستقبل لها. ولن يكون إلا ما أراد الله!

الثاني: كلام سيد قطب عن أمريكا:

أشرت فيه إلى تقييم سيد قطب لأمريكا، وأحلت على كتابي " أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب " الذي أصدرته قبل أكثر من خمسة عشر عاماً، وسجلتُ فيه فقرات لسيد قطب في تقييم أمريكا منها: لا رصيد لأمريكا من القيم الإنسانية، وأصل الأمريكيين الغريب، وسيطرة شهوة الحرب على العقلية الأمريكية، وما يمكن أن تقدمه أمريكا للعالم، والضمير الأمريكاني..

الثالث: حديث سيد قطب عن الحرب الأمريكية

ذكرتُ فيه أجواء تأليف سيد قطب لكتابه " السلام العالمي والإسلام ". وهدفه من تأليفه، وعرفت بفصول الكتاب الستة. ثم عرفت بالفصل الأخير من الكتاب " والآن.. " الذي هو موضوع الحديث.

الرابع: أهمية نشر هذا الحديث:

وضحت فيه أهمية هذا الحديث، وانطباقه على واقعنا الذي نعيشه في هذه الأيام، وذكرت تحقق بعض ما توقعه سيد قطب قبل أكثر من خمسين عاماً، وبينت فيه أهمية نشره، لتبصير وتوعية المسلمين بما يخططه الأعداء ضدهم.

وأوردت بعد ذلك حديث سيد قطب كاملاً، وقد قسمه هو إلى أربعة أقسام:

الأولى: على حافة الهاوية.

الثاني: في مفرق الطريق.

الثالث: طريق الخلاص.

الرابع: كلمة الإسلام.

وقد قسمت الحديث إلى فقرات، بلغت أربعين فقرة، ووضعت لكل فقرة عنواناً من عندي، دالاً على موضوعها، وعلقتُ بعض التعليقات في الحاشية.

وأقدم هذا الحديث الواعي الكاشف إلى القراء الكرام، ليعرفوا ويعوا ويبصروا، ويسيروا في طريق الحق، ويواجهوا أعداء الله، ويقربوا النصر القادم بإذن الله.

د. صلاح عبد الفتاح الخالدي
الخميس ١٩ / ١٢ / ١٤٢٣ هـ
٢٠ / ٢ / ٢٠٠٣ م

بين ما يريده الله وما يريده الأمريكان

شاء الله الحكيم أن يكون الصراع بين الحق والباطل مستمراً. وقد بدأ هذا الصراع منذ اللحظات الأولى لتاريخ البشرية، وتمثل في المواجهة بين آدم عليه السلام وإبليس عليه اللعنة.

وشاء الله الحكيم أن يمثل الحق في هذه المواجهة المستمرة الرسلُ وأتباعُهم، وأن يمثل حزب الباطل إبليسُ اللعين، وأعوانه من شياطين الإنس والجن!

وشاء الله الحكيم الخسارة للشيطان وحزبه: {**أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**} [المجادلة: ١٩]. وشاء الفلاحَ والنجاح والفوز لحزبه الصادق: {**أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**} [المجادلة: ٢٢].

وختم الله رسلَه برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وختم كتبه بالقرآن الكريم، وختم أديانه بالإسلام، وجعله هو الوحيد المقبول عنده، ورضيه ديناً للبشرية، قال تعالى: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً**} [المائدة: ٣].

ونصر الله الأمة المسلمة، ومكّن لها في الأرض، وامتنّ عليها بهذه النعمة، وطالبها بالإخلاص له وإحسان عبادته، قال تعالى: {**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**} [النور: ٥٥].

مما خص الله به بلاد المسلمين:

وخص الله بلاد المسلمين بخصائص ومزايا، لم تتوفر في غيرها من البلاد والبقاع، وجعل فيها " أم القرى "، ومركز الأرض كلها " الكعبة المشرفة " وفيها المساجد الثلاثة المباركة: المسجد الحرام في مكة، والمسجد النبوي في المدينة، والمسجد الأقصى في بيت المقدس. فبلاد المسلمين " قلب " العالم، و " وسط " الأرض. تلتقي فيها خطط الطول والعرض، وتتجمع عليها الاتصالات بين الشرق والغرب!

وخص الله بلاد المسلمين بموارد وركائز وخامات، منها ما هو على وجه الأرض من زروع وثمار، ومنا ما هو في باطن الأرض من خيرات ومعادن وكنوز، وعلى رأسها " البترول " الضروري للحياة البشرية المعاصرة، حيث جعل الله في هذه البلاد الإسلامية معظمَ الاحتياطي العالمي، في دول الخليج والعراق وإيران والجزائر وليبيا، والدول الإسلامية المحيطة ببحر " قزوين ".

وجعل الله الإسلام قوياً ثابتاً راسخاً في هذه البلاد الإسلامية، وشاء أن يبقى فيها متجذراً حيّاً، منذ أن فتح المسلمون الأوائل هذه البلاد بجهادهم، وحتى قيام الساعة.

إنها أرض الإسلام القوي الثابت الراسخ، وينطبق عليها قوله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**} [إبراهيم: ٢٥].

فشل الكافرين في القضاء على المسلمين:

وشاء الله الحكيم الخبير أن يبقى الكافرون معادين للمسلمين، على اختلاف أديانهم وشعوبهم وبلدانهم: قال تعالى: {**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**} [المائدة: ٥٩].

والذين يقودون الكافرين في معاداة وحرب المسلمين هم اليهود: قال تعالى: {**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**} [المائدة: ٨٢].

ولن يرضى الهود والنصارى عن المسلمين إلا إذا تخلوا عن الإسلام: قال تعالى: {**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ**} [البقرة: ١٢٠].

وإن الصراع والمواجهة والقتال والحرب ستبقى ناشبة ضد هذه الأمة المسلمة، وشاء الله الحكيم أن لا تتوقف إلا لتبدأ من جديد. وقد أخبرنا الله عن هذه الحقيقة لنعرفها ونعيها، ونتعامل معها، ونستعد لها: قال تعالى: {**وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**} [البقرة: ٢١٧].

ولكن الأعداء الكافرين بقيادة اليهود والصليبيين فاشلون في القضاء على الأمة المسلمة، عاجزون عن الاحتفاظ بالبلاد الإسلامية مستعمَرة محتلة، مهزومون في النهاية، ورغم أن حربهم ضد المسلمين قد تستمر لعشرات السنين، إلا أنهم يفشلون في النهاية، وتكون الغلبة والنتيجة للأمة المسلمة!

ومن " يستقرئ " التاريخ الإسلامي لهذه البلاد، منذ عهد الصحابة حتى الآن، يعرف أن الحرب مستمرة، وأنها شهدت عدة هجمات من الكافرين ضد المسلمين، وبعض هذه الهجمات استمر لعشرات السنين، ثم هُزِمَ الكفار، وطردوا من هذه البلاد.

الصليبيون القدماء والجدد:

وأشهر الحروب التي انتهت بفشل وطرد الأعداء الحروب الصليبية، التي دامت أكثر من قرن، وانتهت بطرد الصليبين وتحرير البلاد المقدسة.

واجتياح المغول للعالم الإسلامي واحتلال عاصمة الخلافة، الذي انتهى بهزيمة المغول، بل ودخولهم في الإسلام.

وشهدت البلاد الإسلامية منذ ما بعد منتصف القرن التاسع عشر وطيلة القرن العشرين هجمة عنيفة شرسة من أوروبا الصليبية الكافرة، احتلّت فيها دول الاستعمار الأوروبية بلادَ المسلمين، وعلى رأسها: بريطانيا وفرنسا وروسيا وإيطاليا وإسبانيا وهولندا، واستمر استعمارها للبلاد الإسلامية عشرات السنين، لكن حركات التحرير والجهاد حاربت هؤلاء الصليبيين، وحصلت معظم الدول الإسلامية على استقلالها " الظاهري ".

ومكّن الصليبيون لليهود على أرض فلسطين، ودعموا كيانهم، وهزم اليهودُ العربَ في عدة حروب، وجعل الدعم الصليبي الكافر اليهود أقوى دولة في المنطقة.

ولما تحررت الدول العربية والإسلامية في " الظاهر " من الاستعمار الأوروبي الصليبي، انتقلت زعامة العالم الصليبي المعادي للمسلمين إلى أمريكا، وكان هذا بعد الحرب العالمية الثانية، التي انتهت قبيل منتصف القرن العشرين.

أمريكا وارثة العداوة الصليبية:

وقد ابتُليت البلاد العربية والإسلامية منذ منتصف القرن العشرين بالعداوة الأمريكية الشرسة، والحرب الأمريكية الناشبة..

وتمكنت أمريكا واليهودية العالمية من تحطيم الاتحاد السوفياتي، والقضاء على الشيوعية، قبيل نهاية القرن العشرين، وانفردت أمريكا بالهيمنة على العالم، وجعلت الدول الأخرى تابعة لها، ودائرة في فلكها.

وإذا كانت " اليهودية العالمية " هي المسيطرة على أمريكا، والموجِّهة للقوة الطاغية لتحقيق مصالح اليهود، ودولتهم على أرض فلسطين، فإن العالم يشهد منذ منتصف القرن العشرين نفوذاً يهودياً، متستراً خلف الهيمنة الأمريكية!

حروب أمريكا المعاصرة ضدنا:

وابتلي العالم العربي والإسلامي بعدة حروب عنيفة، شنتها أمريكا على المسلمين، سواء بصورة خفية، كما حدث عام ١٩٤٨ الذي شهد قيام دولة اليهود على أرض فلسطين، أو عام ١٩٦٧ الذي شهد احتلال كامل فلسطين وأراض عربية أخرى، أو بصورة علنية كما حدث في حرب الخليج الثانية ١٩٩١.

خططت أمريكا بخبث ودهاء لحرب الخليج الأولى بين العراق وإيران منذ عام ١٩٨٠، التي استمرت عدة سنوات.. وورّطت العراق في احتلال الكويت عام ١٩٩٠، ثم قادت " تحالفاً دولياً " ضدّه، واستعمرت البلاد العربية بجيوشها وقواعدها منذ ذلك التاريخ، وجلبت الدول العربية بعد الحرب إلى " مدريد " ونتج عن ذلك معاهدات " سلام " بين اليهود ودول عربية، وانتشار لليهود في بلاد العرب والمسلمين..

وفوجئ اليهود بانتفاضتين غير متوقعتين، شكلتا خطراً كبيراً على اليهود، وشن المجاهدون على أرض فلسطين عمليات جهادية استشهادية ضد اليهود، خسر فيها اليهود مئات من القتلى، وأضعافهم من الجرى، ومئات الملايين من الدولارات.. وتوجه الشعب الفلسطيني للطرح الجهادي، الذي تطرحه الفصائل المجاهدة على أرض فلسطين.

وما أن انتهى القرن العشرون وابتدأ القرن الحادي والعشرون حتى شهد العالم الإسلامي بداية استيقاظ الروح الإسلامية الجهادية في العالم الإسلامي، وسجل المجاهدون مواقف جهادية بطولية رائعة على أرض فلسطين ضد اليهود، وفي جنوب لبنان أدت لهزيمة

اليهود منه، وفي الشيشان ضد الروس، وفي البوسنة ضد الصرب، وفي الصومال ضد الأمريكان، وفي الفلبين ضد الصليبيين.

ونجح المجاهدون في أفغانستان في هزيمة الروس، وقامت حركة " طالبان " في النهاية بحكم " أفغانستان ".

وفوجئ العالم في مطلع القرن الجديد بعمليتين كبيرتين في داخل أمريكا نفسها، قائدة الطغيان العالمي، والمهيمنة على ما فيه. وتم تدمير المبنى الضخم لمركز التجارة العالمي في نيويورك، ومقر " البنتاغون " في واشنطن. وأسندت العمليتان إعلامياً إلى تنظيم " القاعدة " الجهادي الذي يقوده المجاهد أسامة بن لادن.

الحشد الأمريكي للحرب الشاملة القادمة:

واندفعت أمريكا اندفاعاً " هائجاً " إلى شن حرب عنيفة شرسة، على ما أسمته " الإرهاب الإسلامي العالمي ". وقامت بغزو أفغانستان، بحجة دعم " طالبان " للإرهاب. وحاربت الشعب الأفغاني حرباً همجية، ورغم أنها أسقطت النظام الأفغاني، ونصَّبَت حكومة أفغانية " عميلة " لها، إلا أنها عجزت عن القضاء على أخطر رجلين، اعتبرتهما المقصودين الرئيسيين من الحرب ضد أفغانستان: أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، والملا عملا حاكم أفغانستان!

ولاحقت أمريكا كل مسلم صالح وكل مسلمة ملتزمة على أراضيها، بحجة الإرهاب، واعتبرت كل مسلم صالح إرهابياً، أينما كان، وألغت أمريكا كل القوانين والأنظمة الإنسانية في حربها لكل ما هو " إسلامي "، رغم زعمها الدفاع عن الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان!

ولم تكتف أمريكا بكل جرائمها في أفغانستان وغيرها من دول العالم ضد الصالحين والصالحات، وإنما وجهت هجومها الإعلامي والدولي ضد العراق، وقامت بحشد جنودها ضده، وهي تعد لحرب شاملة لغزوه واجتياحه، وضغطت على كثير من الدول لتوافقها وتحارب معها، وتقدم لها التأييد أو الدعم أو التسهيل أو التمويل!

الأهداف الأمريكية من الحرب القادمة:

ماذا تريد أمريكا من هذه الحرب العدوانية ضد العراق؟ لا تريد محاربة الإرهاب، ولا القضاء على النظام الحاكم فيه، ولا تدمير أسلحة الدمار الشامل فيه، كما تدعي في

دعايتها الكاذبة. وإنما تريد السيطرة على منابع النفط في المنطقة كلها، وإعادة " استعمار " المنطقة كلها، وإعادة رسم الخارطة السياسية لدول المنطقة كلها، وترتيب الأوضاع في كل دول المنطقة لتحقيق الهيمنة الأمريكية على المنطقة، والبقاء فيها لأطول فترة ممكنة.

وأهداف أمريكا من هذا كله هي:

١) التحكم في موارد المنطقة الكثيرة، وفي مقدمتها " النفط "، ونهب تلك الموارد، وتقوية نفسها، ودعم اقتصادها وصناعتها وأموالها بها، لضمان سيطرتها على العالم لأطول فترة ممكنة.

٢) الدعم المباشر للمخططات اليهودية في المنطقة، وتمكين دولة اليهود على أرض فلسطين من السيطرة على المنطقة، والانتشار السياسي والاقتصادي والإعلامي والثقافي فيها، وتحقيق البرامج اليهودية المختلفة، والحرص على إخضاع دول المنطقة وشعوبها للهيمنة اليهودية.

٣) محاربة الحركات الإسلامية في المنطقة، ومنعها من تحقيق برامجها الإسلامية الدعوية، والوقوف أمام مظاهر العمل الإسلامي المختلفة، والقضاء على الصحوة الإسلامية المتنامية، ووأد الروح الجهادية باسم محاربة الإرهاب والغلوِّ والتطرف، واستمرار سلخ الأجيال الناشئة من المسلمين عن إسلامهم وهويتهم، وغزو مجتمعاتهم بالقيم والثقافات والمظاهر الغربية، لضمان إذلالهم وتبعيتهم لليهود والصليبيين!

تريد أمريكا القضاء على الإسلام في المنطقة:

كل ذلك لئلا تقوم للإسلام قائمة فعلية، ولئلا تعود مجتمعات المنطقة إلى الإسلام، ولئلا يعيد المسلمون " الخلافة الراشدة "، تحكُمهم وتُوجِّهُهم وتحميهم من مخططات الأعداء، وتقودهم في جهادهم ضد الكافرين الطامعين..

هذا ما أرادته أمريكا من حروبها السابقة ضد المنطقة، منذ منتصف القرن الماضي، وهذا ما تريده من حربها الشاملة التي تحشدُ لها الآن، وما توجيهها ضد العراق إلا مقدمة لتوجيهها ضد دول المنطقة كلها فيما بعد.

وإذا لم تجر الرياح بما تشتهيه العقلية الأمريكية المعادية لنا، وإذا حدثت تطورات جديدة، حالت دون " الغزو الأمريكي العسكري " للعراق، فإن أمريكا جادة في العمل

على تحقيق الأهداف الثلاثة المذكورة بمختلف الأسلحة والأساليب والوسائل، ليست الحرب العسكرية إلا واحدة فيها!

ولم يختلف ما تريده أمريكا منا ومن بلادنا، عن ما أراده الصليبيون من غزو بلادنا في الماضي، ولا عن ما أراده الغزاة المعتدون الآخرون!

وما يريده الأعداء في الماضي والحاضر يتعارض مع ما يريده الله لهذه المنطقة وسكانها من الخير! فالله يريد لهذه المنطقة أن تبقى أرضاً للإسلام، وموئلاً للإيمان، يريد الله لها أن تبقى أرض الحشد والرباط، والاستعداد والجهاد، وميداناً للمعارك الجهادية الفاصلة، ومقبرة للغزاة المعتدين، ومظهراً لفشل مخططاتهم وجهودهم.

ستفشل أمريكا في تحقيق ما تريد:

وكما فشل الصليبيون في الماضي في الاستقرار الأبدي في المنطقة، سيفشل الأمريكان في مخططاتهم وأهدافهم، التي يريدون تحقيقها في المنطقة، من خلال طبول الحرب التي يدقونها بقوة، والحشود الضخمة التي يجيِّشونها! ستكون هذه الهجمة الأمريكية على المنطقة وإسلامها ومسليمها بداية النهاية – بإذن الله – للإمبراطورية الأمريكية العالمية، وستخرج أمريكا في المستقبل القريب – بإذن الله – مهزومة ذليلة.. وسيُقضى على الكيان اليهودي المقام على أرض فلسطين بعون الله!

ستبقى المنطقة إسلامية مباركة، وسيبقى الإسلام فيها قوياً راسخاً ثابتاً، وستعود إلى حكم الإسلام المبارك ، وستعود الخلافة الراشدة، وسيبقى العلم الإسلامي مرفوعاً، والجهاد الإسلامي مبروراً.

وفي الأمة الإسلامية خير كثير، وهي أمة " ولاَّدة " ليست عاقراً ولا عقيماً، " تُفْرِزُ " في كل فترة رجالاً ربانيين، مجاهدين صادقين، يختارهم الله لقيادة الأمة، لمواجهة أعدائها وحربهم وهزيمتهم.

لن يكون إلا ما يريده الله:

وما أراده الله لهذه المنطقة وسكانها من الخير لا بد كائن وواقع، لأنه لا رادَّ لأمر الله، وما تريده أمريكا – واليهود – لهذه المنطقة وسكانها لن يكون، لأنه يتعارض مع ما يريده الله، ولن تنجح أية قوة في الأرض – مهما عظمت – في الوقوف أمام قوة الله

الغالب القوي! وما خبر عاد وفرعون عنا بغريب أو مجهول!! وما هزيمة الصليبيين عن أمريكا واليهود ببعيدة!!

وصدق الله القائل: {**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّه بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**} [التوبة: ٣٢ - ٣٣]، والقائل: {**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**} [الأنبياء: ١٨].

كلام سيد قطب عن أمريكا

تكلم سيد قطب عن أمريكا كلاماً دقيقاً، قيّم فيه أمريكا تقييماً واضحاً، ووزنها وزناً صحيحاً.

وتفرق كلامه عنها في مواضع عديدة، في صحف ومجلات، وفي كتب ومؤلفات. وكان يريد أن يُصدر كتاباً عنها بعنوان: " أمريكا التي رأيت "، وأعلن عنه في أكثر من موضع، لكن الكتاب فُقد وتلف، بسبب ما تعرض له سيد قطب من محن وابتلاءات، حيث سُجن وعُذِّب وأوذِي، وانتهت محنته بإعدامه واستشهاده عام ١٩٦٦.

وأعانني الله – وله الحمد والشكر – على جمع معظم كلامه عن أمريكا، من صحف ومجلات، وإشاراته لها في كتبه المختلفة، وقدَّمْتُ له بدارسة عن موقفه من أمريكا، وتقييمه لها، وأصدرت في ذلك كتابي " أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب " عام ١٩٨٥، وقد لقي رواجاً وانتشاراً، وطُبِعَ عدة طبعات، ولله الحمد والشكر.

تقييم سيد قطب لأمريكا:

وقد أوفدت وزارة المعارف في مصر سيد قطب – وقد كان من كبار رجال التربية فيها – في مهمة تدريبية تربوية في الظاهر، هدفها الاطلاع على مناهج التربية، في المدارس والمعاهد والكليات الأمريكية، والاستفادة من ذلك في تطوير التربية والتعليم في مصر.

وكان الهدف الحقيقي لهذه البعثة " غسل دماغ " لسيد قطب، وإقناعه بمناهج الحياة الأمريكية، ليعود إلى مصر – كما عاد الكثير من المبعوثين – داعية لأمريكا، ومبشراً بحياتها وقيمها وأعرافها وسلوكها!

ولكن الله ثبّته على الإسلام، فكان في أمريكا ملتزماً به، ناظراً لها بمنظاره، محلّلاً لها على أساسه، فعرفها على حقيقتها وجهلها، وغطرستها واستكبارها، وظلمها وعدوانها.. لم تبهره، ولم تخدعه، ولم تفقده ثوابته وبصائره، وكان فيها المؤمن الملتزم، والدراس الفاحص، والباحث البصير. وقد أقام في أمريكا سنتين كاملتين: من أغسطس – آب – ١٩٤٨ إلى أغسطس – آب ١٩٥٠.

فقرات لسيد قطب عن حقيقة أمريكا:

ولما عاد إلى مصر جعل مهمته الوقوف أمام المخططات الأمريكية لاحتواء المنطقة، والهيمنة عليها، واستعمارها ثقافياً وفكرياً واقتصادياً، وسياسياً وإعلامياً وسلوكياً، يُحذِّر من التبعية لها، ويدعو إلى الانحياز إلى الإسلام، وتطبيقه بصدق، والانطلاق منه لمواجهة أمريكا وغيرها من الأعداء.

ولا أعيد هنا كتابي المشار إليه " أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب "، فهو متيسر لمن أراده ولله الحمد، ولكنني أبرز ما قاله عن خطة أمريكا لاحتواء المنطقة، وإحكام إخضاعها والسيطرة عليها، وطبيعتها العدوانية، وسيطرة " شهوة الحرب " عليها، بحيث إنها لا يمكن أن تعيش بدون حروب، مما يجعل زعمها برغبتها في السلام العالمي خرافة كاذبة!

وأقدِّم فيما يلي بعض الفقرات الكاشفة الهادية لسيد قطب، يبين فيها حقيقة أمريكا، وسيطرة شهوة الحرب والعدوان عليها.

١) لا رصيد لأمريكا من القيم الإنسانية:

قال في بداية كلامه عن أمريكا، وتحليله لعقليتها وطبيعتها وإنتاجها: (أمريكا.. الدنيا الجديدة.. ذلك العالم المترامي الأطراف، الذي يشغل من أذهان الناس وتصوراتهم، أكثر مما تُشغلُ من الأرض رقعتُها الفسيحة، وترف عليه من أخيلتهم وأحلامهم بالأوهام والأعاجيب، وتهوي إليه الأفئدة من كل فج، شتى الأجناس والألوان، شتى المسالك والغايات، وشتى المذاهب والأهواء.

أمريكا.. تلك المساحة الشاسعة من الأرض، بين الأطلنطي والباسفيكي، تلك الموارد التي لا تنضب، من المواد والخامات، ومن القوى والرجال. تلك المصانع الضخمة، التي لم تعرف لها الحضارة مثيلاً، ذلك النتاج الهائل الذي يعيا به العد والإحصاء. تلك المعاهد والمعامل والمتاحف، المبثوثة في كل مكان. عبقرية الإدارة والتنظيم التي تثير العجب والإعجاب. ذلك الرخاء السابغ كأحلام الجنة الموعودة. ذلك الجمال الساحر في الطبيعة والوجوه والأجسام.. تلك اللذائذ الحرة، المطلقة من كل قيد أو عرف. تلك الأحلام المجسمة في حيز من الزمان والمكان..

أمريكا هذه كلها.. ما الذي تساويه في ميزان القيم الإنسانية؟ وما الذي أضافته إلى رصيد البشرية من هذه القيم؟ أو يبدو أنها ستضيفه في نهاية المطاف؟

أخشى ألا يكون هناك تناسب بين عظمة الحضارة المادية في أمريكا، وعظمة الإنسان الذي ينشئ هذه الحضارة.. وأخشى أن تمضي عجلة الحياة، ويُطوى سجل الزمن، وأمريكا لم تضف شيئاً - أو لم تضف إلا اليسير الزهيد - إلى رصيد الإنسانية من تلك القيم، التي تميز بين الإنسان والشيء، ثم بين الإنسان والحيوان!..) [أمريكا من الداخل: ٩٧ - ٩٨].

٢) أصل الأمريكيين الغريب:

بين سيد قطب أن " التشوه " في الشخصية الأمريكية متجذر متعمق، رافق الأمريكيين الأوائل، الذين هم أجداد الأمريكيين المعاصرين.

قال عن طبيعة أولئك الأجداد الأوائل: (ويحسن أن لا ننسى الحالة النفسية التي وفد بها الأمريكي إلى هذه الأرض، فوجاً بعد فوج، وجيلاً بعد جيل، فهي مزيج من السخط على الحياة في العالم القديم، والرغبة في التحرر من قيوده وتقاليده، ومن هذه القيود والتقاليد الثقيل الفاسد، والضروري السليم.. ومن الرغبة الملحة في الثراء بأي جهد وبأية وسيلة.. والحصول على أكثر قسط من المتاع، تعويضاً عما يبذله من الجهد في الثراء.

ويحسن أن لا ننسى كذلك الحالة الاجتماعية والفكرية، لغالبية الأفواج الأولى، التي تألفت منها نواة هذا الشعب الجديد، فهذه الأفواج هي مجموعات ومظاهرات، والمجرمون جيء بهم من بلاد الإمبراطورية الإنجليزية، لتشغيلهم في البناء والإنتاج.

ذلك المزيج من الملابسات، وهذا المزيج من الأفواج، من شأنه أن ينميَ ويستنهض الصفات البدائية في ذلك الشعب الجديد، وينيم أو يقاوم الصفات الراقية في نفسه أفراداً أو جماعات.. وبذلك ضاقت آفاق ذلك الشعب الجديد، وضمرت نفسه، وتحددت مشاعره، وضَؤُل مكانه على المائدة العالمية الزاخرة بالأنماط والألوان..) [أمريكا من الداخل: ١٠٠ - ١٠١].

٣) سيطرة " شهوة الحرب " على العقلية الأمريكية:

يكذب سيد قطب الدعايات الأمريكية حول محبة أمريكا للسلام، ورعايتها له، ورغبتها فيه، ويبين أن " شهوة الحرب " مسيطرة على العقلية الأمريكية، بحيث إن أمريكا لا يمكن أن تعيش بدون حرب، وأنها تتلذذ وتستمتع بتعذيب غيرها، لتحقيق أهوائها ومصالحها.

قال: (.. لست أدري كيف راجت في العالم – وبخاصة في الشرق – تلك الخرافة العجيبة: خرافة أن الشعب الأمريكي شعب محب للسلام..

إن الأمريكي بفطرته محارب، محب للصراع، وفكرة الحرب والصراع قوية في دمه، بارزة في سلوكه، وهذا هو الذي يتفق مع تاريخه كذلك.. فقد خرجت الأفواج الأولى من أوطانها، قاصدة إلى أمريكا، بفكرة الاستعمار والمنافسة والصراع..

توهناك قائلَ بعضهم بعضاً، وهم جماعات وأفواج، ثم قاتلوا جميعاً سكان البلاد الأصليين " الهنود الحمر "، وما يزالون يحاربونهم حرب إفناء حتى اللحظة الحاضرة. ثم قاتل العنصرُ الإنجلوسكسوني العنصر اللاتينيَّ هناك، وطرده إلى الجنوب، في أمريكا الوسطى والجنوبية. ثم حارب المتأمْركون أمَّهم الأولى إنجلترا في حرب التدمير، بقيادة " جورج واشنطن " حتى نالوا استقلالَهم عن التاج البريطاني..

ثم حارب الشمالُ الجنوبَ بقيادة " إبراهام لنكولن " تلك الحرب التي اتسمت بسمة " تحرير العبيد "، وإن كانت دوافعها الحقيقية هي: المنافسة الاقتصادية..

وانقضت فترة العزلة، وانتهت سياستها، عندما دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولى، ثم اضطلعت بالحرب العالمية الثانية، ثم ها هي ذي تنهض بالحرب في كوريا، والحرب العالمية الثالثة ليست بالبعيدة!!

ولست أدري إذن كيف راجت تلك الخرافة العجيبة عن شعب هذا تاريخه في الحروب؟..) [أمريكا من الداخل: ١٠٤ – ١٠٥].

٤) ما يمكن أن تقدمه أمريكا للعالم:

بين سيد قطب أن لأمريكا بعض الفضائل، وهي تلك المتعلقة بالتنظيم والإدارة، والإنتاج المادي والصناعي والتكنولوجي، ويمكن الاستفادة منها في هذا الجانب المادي، أما القيم والأخلاق والمبادئ الإنسانية، فلا دور لها فيها.

قال: (إن لأمريكا دورها الرئيسي في هذا العالم، في مجال العالم التطبيقي، وفي مجال البحوث العلمية، وفي مجال التنظيم والتحسين، والإنتاج والإدارة.. كل ما يحتاج إلى ذهن وعضل، فهنا تبرز العبقرية الأمريكية، وكل ما يحتاج إلى روح وشعور، فهنا تبدو البدائية الساذجة..

وإن البشرية لتملك أن تنتفع بالعبقرية الأمريكية في مجالها، فتضيف قوة ضخمة إلى قواها.. ولكن هذه البشرية تخطئ أشنع الخطأ، وتعرِّض رصيدها من القيم الإنسانية للضياع، إذا هي جعلت المثلَ الأمريكي مثَلَها في الشعور والسلوك.

إن ذلك لا يعني أن الأمريكان شعب بلا فضائل، وإلا لما أمكنه أن يعيش.. ولكنه يعني أن فضائله هي فضائل الإنتاج والنظام، لا فضائل القيادة الإنسانية والاجتماعية!.. فضائل الذهن واليد، لا فضائل الذوق والشعور..) [أمريكا من الداخل: ١٢٢ - ١٢٣].

٥) الضمير الأمريكاني:

تحدث سيد قطب عن الضمير الأمريكاني، وبين أنه ضمير " متعفن "، وأن أمريكا تتعامل مع الآخرين بدون ضمير، وأنها بهذه الصفة تتعامل مع قضية فلسطين، فتعاملها مع العرب تعامل غير أخلاقي.

قال: (أخيراً يتكشف ضمير " الولايات المتحدة " الذي تعلقت به أقطار كثيرة في الشرق، وحسبته شيئاً آخر غير الضمير الإنجليزي والضمير الفرنسي، وسائر الضمائر الأوروبية المعروفة..

أحيراً يتكشف ضمير " الولايات التحدة " هذا، فإذا هو - ككل شيء أمريكي آخر - " ضمير أمريكاني "!

ونحن نعرف في مصر " اللعبة الأمريكية "، ونعرف أنها " نصب في نصب "، وقد حُرِّمت هذه اللعبة لما فيها من غش وخداع.. و " الضمير الأمريكاني " الذي تكشف عنه تصريحات " ترومان " لا يرتفع كثيراً عن هذه اللعبة الأمريكية الممنوعة!!

وكلهم سواء أولئك الغربيون: ضمير متعفن، وحضارة زائفة، وخدعة ضخمة اسمها " الديمقراطية " يؤمن بها المخدوعون.

تلك كانت عقيدتي في الجميع، في الوقت الذي كان بعض الناس يحسن الظن بفريق، وكانت أمريكا في الغالب هي التي تتمتع بحسن الظن من الكثيرين.

فها هي ذي أمريكا تتكشف للجميع، هذا هو " ترومان " يكشف عن " الضمير الأمريكاني " في حقيقته، فإذا هو نفسه ضمير كل غربي. ضمير متعفن، لا يثق به إلا المخدعون..) [أمريكا من الداخل: ١٢٤ - ١٢٥].

٦) عبارات لسيد قطب في تقييم أمريكا:

لسيد قطب عبارات مجملة في تقييم أمريكا، وهي أصدق ما تكون في التعريف بأمريكا وتقييمها، وبيان حقيقتها، منها:

أ) بعث وهو في أمريكا رسالة إلى صديقه في مصر " عباس خضر "، قال له فيها: (تصلح أمريكا أن تكون " ورشة العالم "، فتؤدي وظيفتها على خير ما يكون.. أما أن يكون العالم كله كأمريكا، فتلك هي كارثة الإنسانية بكل تأكيد..).

ب) وبعث من أمريكا رسالة إلى صديقه الناقد الأدبي أنور المعداوي، قال له فيها عن أمريكا وغربته فيها: (.. هنا الغربة، الغربة الحقيقية. غربة النفس والفكر.. غربة الروح والجسد.. هنا في تلك الورشة الضخمة، التي يدعونها: العالم الجديد..

عرفتُ الآن مدى الدعاية التي تغمرُ بها أمريكا العالم، والتي يُسهم فيها المصريون الذين جاءوا لأمريكا ثم عادوا، وأستطيع أن أقيس - على ضوئها - مدى الدعاية التي تغمرنا بها أوروبا، والتي يُسهم فيها المصريون العائدون من هناك.

إنهم لا يَجدون لأنفسهم قيمة ذاتية، فيبالغون في تضخيم أوروبا، وتضخيم أمريكا، علّهم يستمدون منها قيمة ذاتية!) [أمريكا من الداخل: ١٥٧ - ١٥٨].

ج) وكتب مقالاً ساخراً، جعل عنوانه " حمائم في نيويورك " بعد عام من إقامته في أمريكا، ونشرَهُ في مجلة " الكتاب: ديسمبر ١٩٤٩ ". ومما قاله فيه: (وقضيت عاماً في تلك " الورشة الضخمة "، التي يُسمونها " العالم الجديد ".

وتنقلت من نيويورك، إلى واشنطن، إلى دنفر، إلى جريلي.. ولم ألمح خلال هذه الفترة الطويلة من الزمان، ولا في خلال تلك المساحة الشاسعة من المكان - إلا في حالات نادرة - وجهاً إنسانياً يُعبِّر عن معنى الإنسان، أو نظرة إنسانية تطل منها معاني الإنسانية..

ولكنني وجدت " القطيع " في كل مكان، القطيع الهائج الهائم، لا يَعرفُ له وجهة غير اللذة والمال.. لذة الجسد الغليظة التي ترتوي حتى تهمد، وتهمد ريثما تستيقظ في سُعار.. ورغبة المال التي تُنفق الحياة، خيرها وشرها، ليلها ونهارها، في سبيل " الدولار ") [أمريكا في الداخل: ١٤٢].

حديث سيد قطب عن الحرب الأمريكية

لما عاد سيد قطب من أمريكا في أغسطس " آب " عام ١٩٥٠، انصرف عن النقد الأدبي إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي والأخلاقي والثقافي على أساس الإسلام، وقام بنشاط إسلامي اجتماعي واسع، تمثل في إصدار الكتب، ونشر المقالات في الصحف والمجلات، وإعطاء المحاضرات، وترتيب اللقاءات، وحضور الاجتماعات.

وأصدر عام ١٩٥١ كتابين إسلاميين إصلاحيين:

الأول: معركة الإسلام والرأسمالية. وصدر عن دار الكتاب العربي لمحمد حلمي المنياوي، في فبراير – عام ١٩٥١.

الثاني: السلام العالمي والإسلام. وصدر عن دار الكتاب العربي للمنياوي في أكتوبر – تشرين أول – عام ١٩٥١.

ويدل هذا على نشاط سيد قطب، وغزارة نتاجه؛ إذ بين الكتابين سبعة أشهر.

أجواء تأليف كتاب " السلام العالمي والإسلام ":

ولا ننسى الأجواء التي أصدر فيها كتابه الثاني: " السلام العالمي والإسلام "، وهي " الحرب الكورية " التي شنتها أمريكا على كوريا الشمالية، عام ١٩٥١، وأدت إلى هزيمتها فيها، وكان التهديد بحرب عالمية ثالثة على أشده.

لاحظ سيد قطب الأجواء العالمية المرعوبة، من التهديد بالحروب المختلفة، والحرب العالمية الثالثة، وعدم تحقق " السلام العالمي " رغم إنشاء الأمم المتحدة، فأعد كتابه " السلام العالمي والإسلام " ليبين المبادئ الإسلامية التي تحقق السلام العالمي، ودعا البشرية لتفيء إلى الإسلام لتحصل على ما ترجوه من سلام.

وضع في بداية كتابه اثنتي عشرة آية من سورة الأنفال [٥٥ - ٦٦] تطالب بالإعداد والجهاد، لتحطيم قوة الكفار، ليجنحوا للسلم.

فصول الكتاب الستة:

الفصل الأول: جعل عنوانه: " العقيدة والحياة ". بيّن فيه أن العقيدة الإسلامية عقيدة حية، توجّه المسلم في حياته، وتحل مختلف المشكلات التي تعترض الأمة المسلمة، ومن أهمها:

المشكلات في الحقل الاجتماعي، والمشكلات في الحقل الدولي.

وختم هذا الفصل بقوله: (وأما الحقل الدولي، فربما كان العمل فيه قليلاً، ولم تشرح هذه الناحية بعد شرحاً كافياً.. وأمامنا اليوم مشكلة " السلام العالمي " التي تواجهها البشرية جميعاً، ونُواجهها نحن ضمناً.. فهل للإسلام فيها رأي؟ ولها عنده حل؟ هذا الكتاب كله هو الإجابة التفصيلية على هذا السؤال) [السلام العالمي والإسلام: ١٢].

الفصل الثاني: " طبيعة السلام في الإسلام ": أشار فيه إلى نظرة الإسلام إلى الكون والحياة والإنسان، وربط السلام في الإسلام بهذه النظرة، وبيّن أن " السلام " هو القاعدة الدائمة في الإسلام، والحرب هي الاستثناء من هذه القاعدة، وأن الإسلام يُحرم جميع الحروب القومية والعنصرية والاستعمارية، ولا يجيز إلا نوعاً واحداً من الحروب، وهي التي تكون في سبيل الله، لرفع كلمة الله، ونشر دين الله، ومحاربة أعداء الله! فالحرب في الإسلام استثناء، لا يلجأ إليه المسلمون إلا عند الضرورة، ليتحرر الناس من العبودية لغير الله، وتحقيق الخير للبشرية، بنشر دين الله، لتكون كلمة الله هي العليا..

وبين أن السلام الشامل في الإسلام لا يتجزأ، وإنما يشمل كافة حقوق الحياة الفردية والجماعية.

إن الإسلام يحقق سلام الفرد في صلته بربه، ثم علاقته بنفسه، ثم ارتباطه بالجماعة من حوله. ويحقق السلام في علاقة الأفراد بالحكومات، وعلاقة المسلمين بغيرهم.

والإسلام يحقق السلام في أربع دوائر ومراحل متدرجة: سلام الضمير. وسلام البيت. وسلام المجتمع. وسلام العالم.

وجعل سيد قطب لكل مرحلة ودائرة فصلاً. ومن ثم أدار الكتاب في فصوله الباقية عليها.

الفصل الثالث: سلام الضمير.

الفصل الرابع: سلام البيت.
الفصل الرابع: سلام المجتمع.
الفصل السادس: سلام العالم.

وبيّن في كل فصل خطة الإسلام وبرنامجه وخطواته وتوجيهاته، في تحقيق السلام في كل دائرة. وبذلك يُحقق الإسلام " السلام العالمي " الشامل المنشود.

بينما تعجز الجاهلية عن تحقيق السلام في أي دائرة من هذه الدوائر: فهي لا تحقق سلام الفرد الكافر مع ضميره ونفسه، ولا تحقق السلام في صلته ببيته وأسرته، ولا تحقق السلام بين أفراد وفئات المجتمع، ولا تحقق السلام العالمي بين الدول والحكومات والأنظمة.

لن يتحقق السلام العالمي إلا بالإسلام:

وأنهى سيد قطب الفصل السادس " سلام العالم " بقول: (فإذا نحن ألقينا من هذه القمة الشامخة التي يقف عليها الإسلام في سلمه وحربه، نظرة على المستنقع الآسن الذي تَلِغُ فيه الحضارة الغربية سلماً وحرباً، أدركنا بعد الشقة بين نظام يتزله الله للبشر، ونظام يضعه الناس للناس.. وأدركنا كم خسرت البشرية يوم تنكرت لنظام الله. وهي تتعثر في تكبر مضحك، وفي تعالم مضحك.. تريد أن تقول: إنها تريد لنفسها خيراً مما أراد الله، وإنها تملك لنفسها خيراً مما أعطاها الله!
وستظل هذه البشرية تطلع في طريق كلها منحدرات وآلام، وتلغُ في مستنقع آسن، من صنع الحضارة الكافرة المغرورة الضالة عن الله. إلى أن يتسلم الإسلام الزمام، فيقود البشرية الحائرة إلى مثابة العدل والنظام والسلام..) [السلام العالمي والإسلام: ١٩٩].

والخلاصة التي خرج بها من الكتاب: الإسلام وحده هو الذي يحقق السلام العالمي الشامل المتكامل: سلام الضمير، وسلام البيت، وسلام المجتمع، وسلام العالم.. وكل مبادئه وتوجيهاته تدعو للسلام.. والسلام فيه هو القاعدة الدائمة، والحرب استثناء للضرورة، وكل أنواع الحروب في الإسلام محرمة، إلا الحرب الجهادية، التي يكون الجهاد فيها في سبيل الله لمحاربة أعداء الله.

أما الجاهلية المتمثلة الآن في الحضارة الغربية، فإنها لن تحقق سلاماً عاماً ولا دولياً، وإنما توجد القلق والاضطراب، وتثير الحروب التي ينتج عنها الدمار والخراب!!

الفصل الأخير من الكتاب: " والآن.. ":

بعد الفصول الستة التي أدار عليها سيد قطب كتابه المذكور – العقيدة والحياة، طبيعة السلام في الإسلام، سلام الضمير، سلام البيت، سلام المجتمع، سلام العالم – رأى سيد قطب من المناسب أن يختم كتابه بفصل ختامي، اختار عنوانه: " والآن.. " ليكون هو الخاتمة العملية للكتاب، الذي توصل إليه الفصول الستة السابقة، ويقدم فيه برنامجاً عملياً لتحقيق المبادئ النظرية في الفصول السابقة، ويبين فيه من أهم أعداء " السلام العالمي "، الحر يصون على منع تحقيق ذلك السلام، بما يثيرون من حروب هنا وهناك. إنهم الأمريكان!

بدأ كلامه بقول: الآن.. بعد استعراض فكرة السلام في الإسلام، والإلمام بفكرة الإسلام الكلية عن الحياة.. الآن بعد معرفة المدلول الكامل لكلمة السلام في الإسلام. هذا المدلول الذي يشمل إقرار السلام في الأرض، على أسس من العدالة المطلقة، ومن الخير الشامل، تحقيقاً لكلمة الله، وإلا فالجهاد الدائم لتحقيق هذه الكلمة، والكفاح الدائم لدفع البغي والعدوان، والصراع الدائم مع الفساد والشر والطغيان.

الآن.. ما طريقنا نحن الأمة المسلمة؟ ما موقفنا من الصراع العالمي الذي يدور حولنا؟ ما واجبنا تجاه الحياة، وتجاه الإنسانية، وتجاه أنفسنا؟

.. الآن.. ما طريقنا؟ كيف نواجه مسألة السلام العالمي بعقيدتنا الإسلامية؟ وكيف نتصرف في المجال الدولي طبقاً لهذه العقيدة؟

.. قبل الإجابة على هذا السؤال أحب أن نواجه الواقع العملي في محيط الكتل التي تتصارع اليوم في المجال الدولي. أحب أن نستعرض المبادئ التي يقوم عليها هذا الصراع، والعوامل التي تدفعه وتؤثِّر فيه!

فلنأخذ على بركة الله في استعراض الواقع البشري الذي نواجهه، لنعرف فيه رأي المصلحة الإنسانية والمصلحة القومية، ورأي الإسلام.

قسم سيد قطب حديثه في الفصل المذكور إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: على حافة الهاوية:

ذكر فيه أن البشرية في منتصف القرن العشرين تقف على حافة الهاوية، بسبب طبول الحرب العالمية، التي تدقها وتقرعها أمريكا، فهي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية تخطط لحرب شاملة جديدة، وتحشد الحشود لها، وتعد الإعداد الكامل لها، وتعبئ الرأي العام الداخلي والخارجي لها، وتدفع أوروبا لها دفعاً.

وبين أن أمريكا تريد أن تشعل حرباً شاملة لحل مشكلاتها الداخلية، وذكر الأهداف الحقيقية الأنانية الاستعمارية للمشروع الاقتصادي الخطير، الذي سُمي " مشروع مارشال " نسبة إلى الخبير الاقتصادي الاستعماري الذي قدمه "جورج مارشال".

وأشار إلى المكائد المتبادلة بين أمريكا وبريطانيا، والصراع الاقتصادي الماكر بينهما، وإرادة كل منهما تحقيق مصالحها الاقتصادية والمالية على حساب البشرية المبتلاة بهما!

وبين سيد قطب في هذا القسم أن أمريكا لا بد أن تحارب، وأن الحرب بالنسبة لها " ضرورة حياة قومية " لحل مشكلاتها الداخلية، وإنقاذ اقتصادها من الانهيار، وتحقيق الأرباح العالية لرأسمالها. فالحرب الكورية مثلاً عام ١٩٥٠ - ١٩٥١ أدت إلى تشغيل مليوني أمريكي، كانوا عاطلين عن العمل!

فالمستفيدون من الحرب التي تحشد أمريكا لها الحشود هم أصحاب رؤوس الأموال الأمريكان، الحريصون على جني الأرباح لمصانعهم وأسلحتهم، والإدارة الأمريكية التي تريد حل مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية.

وخلاصة هذا القسم أن أمريكا المعتدية الباغية الظالمة هي التي أوقفت البشرية على حافة الهاوية، وهي التي تهدد بعدوانها السلام العالمي، وهي التي تتلذذ بمآسي الشعوب الأخرى، الناتجة عن الحرب الأنانية التي تريدها وتحشد لها، ولا تعيش بدونها!!

القسم الثاني: في مفرق الطرق:

بعد أن تحدث سيد قطب عن وضع أمريكا للبشرية كلها على حافة الهاوية والهلاك، انتقل للحديث عن " مفرق الطرق " الذي يقف كثير من الناس عليه، حيارى تائهين، لا يعرفون أي طريق يسلكون.

ذكر في هذا القسم الصراع العالمي بين الكتلتين المتحاربتين: الكتلة الرأسمالية التي تقودها أمريكا، والكتلة الشيوعية التي يقودها الاتحاد السوفياتي، أي أن الصراع بين الدولتين الكبيرتين: أمريكا والاتحاد السوفياتي.

بدأ هذا القسم بالحديث عن الكتلة الرأسمالية، والحرب التي تحشد لها أمريكا، وتريد أن تستخدم موارد البشرية الاقتصادية والجغرافية والإنسانية وقوداً لها.

وذكر وسائل أمريكا في الضغط على أتباعها لدخولهم الحرب معها، وهي في دول العالم الثالث تعتمد على الطبقات الحاكمة، ولا تعتمد على الشعوب والجماهير.

وبالنسبة للعالم العربي الذي تحرص أمريكا على السيطرة عليه، ذكر أن أمريكا تريد أن تجنّد العرب ليكونوا وقوداً لحربها القادمة، وتريد جعل بترولهم ومواردهم غذاء لتلك الحرب، وبعد ذلك تتخلّى أمريكا عن أتباعها كما فعلت مع أتباعها في الحرب الكورية.

وانتقل للحديث عن الكتلة الشيوعية، فأشار إلى أهم أسباب انتشار الشيوعية، وإلى عداوتها للأمة المسلمة، ودعم الاتحاد السوفياتي لليهود ودولتهم على أرض فلسطين..

وذكر أن روسيا تريد توظيفنا في صراعها مع أمريكا، مع أنها في الحقيقة لا تريد الخير لنا، وإنما تريدنا ذيولاً ذليلة لها.

وذكر خطأ انضمامنا إلى إحدى الكتلتين، لأنهما عدوتان لنا، ولكن وجود الكتلتين متواجهتين ضروري، لحفظ " التوازن " الدولي، وليس من مصلحة البشرية قضاء إحدى الكتلتين على الأخرى، وانفرادها بالهيمنة على العالم، لأن في هذا الانفراد التسلّطي تدمير للآخرين، وقضاء على السلام العالمي.

وتوقع زوال الاتحاد السوفياتي، وانفراد أمريكا بالهيمنة على العالم، ولكن ذلك الانفراد لن يكون إلا فترة قصيرة، ولا بد من ظهور قوة أخرى تقف أمام القوة الأمريكية، لأن طبيعة الحياة البشرية تأبى انفراد قوة بذلك، وتوقع ظهور قوة " أوروبا " لمواجهة القوة الأمريكية.

وهيمنة أمريكا على العالم بعد زوال الاتحاد السوفياتي معناها الخسارة الأكيدة للبشرية: (وويل للبشرية يوم يوقعها سوءُ الطالع في رِبْقة هذا الصلف الأمريكاني، بلا قوة في الأرض تخشى، ويعمل لها حساب!).

وختم هذا القسم بالتأكيد على أن " السلام العالمي " لا يمكن أن يتحقق على يد أي من الكتلتين: الرأسمالية الأمريكية والشيوعية السوفياتية.. وستبقى البشرية تعيش ويلات الحرب طالما بقيت الكتلتان متصارعتين.

القسم الثالث: طريق الخلاص:

تحدث في هذا القسم عن طريق الخلاص للأمة المسلمة، من الحرب الشاملة التي تحشد أمريكا حشودها، وذكر أن الخلاص لن يكون بالانضمام إلى المعسكر الأمريكي، ولا بالانضمام إلى المعسكر الشيوعي.

وذكر أن المعركة القادمة ستدور على أرضنا: (ستدور في تركيا وإيران، والعراق وسوريا، ومصر والشمال الأفريقي.. وفي باكستان وأفغانستان، وفي منابع البترول الإيرانية والعربية، وفي عبّادان والظهران.. إنها ستدمر مواردنا نحن، وتحطم حياتنا نحن، وتدع أرضنا بقعاً خراباً يباباً..).

وكذّب مزاعم دعاة الانضمام إلى العمسكر الأمريكي، لتحقيق الخلاص من المشكلات، فأمريكا حريصة على إيقاعنا في المشكلات.

وفضح التحالف المريب بين الرأسمالية المحلية في بلاد المسلمين وبين أمريكا الباغية، لأن الاستعمار الأمريكي هو السند والحماية لهؤلاء الأتباع من أصحاب الأموال والتوجيه، وهم المنتفعون من الحرب القادمة، بزيادة أموالهم، ولن يخسروا منها شيئاً، بينما ستكون الشعوب والجماهير وقود المعركة، والمتضررة منها.

وحدد طريق الخلاص الوحيد للأمة المسلمة، بأنه في إنشاء الكتلة الثالثة، المستقلة عن الكتلة الرأسمالية والكتلة الشيوعية، الكتلة الإسلامية التي تقول: لا لكل من أمريكا وروسيا.

ودعا في هذا القسم إلى وجوب مواجهة أمريكا ومقاومتها، عندما تبدأ معركتها على بلاد المسلمين، والمسلمون قادرون على إيذائها وإزعاجها، وإلحاق الهزيمة بها في النهاية.

القسم الرابع: كلمة الإسلام:

قادته الأقسام الثلاثة السابقة – على حافة الهاوية، وفي مفرق الطرق، وطريق الخلاص – إلى القسم الرابع، الذي هو خاتمة الفصل وخاتمة الكتاب، حيث حدّد فيه كلمة الإسلام، وموقفه من الحرب الشاملة التي تُعدُّ لها أمريكا العدة.

وكان واضحاً وصريحاً في تحديد كلمة الإسلام، التي حصرها في أربع حقائق.

الأولى: يحرم الإسلام هذه الحرب، ويلعنها ويلعن القائمين عليها، ويحرم الانضمام إلى أي من الأطراف المشاركة فيها.

الثانية: يحرم الإسلام مساعدة الدول التي حاربت المسلمين في دينهم، وأخرجتهم من ديارهم، ويحرم عقد المعاهدات والاتفاقيات معهم، وفي مقدمتهم: أمريكا، وبرطانيا، وفرنسا، وروسيا.

الثالثة: يوجب الإسلام على المسلمين جهاد الأعداء المحاربين وقتالهم، واليقين بأنهم في حالة حرب معهم، وفي مقدمتهم: أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، ودولة اليهود على أرض فلسطين.

الرابعة: يوجب الإسلام على المسلمين مقاومة الأعداء المحاربين مقاطعة تامة، وذلك بعدم إمدادهم بالأطعمة أو المهمات، وعدم تقديم المساعدات والتسهيلات لهم، وعدم التعاون والعمل معهم.

وبعد ذلك التحديد لكلمة الإسلام، بيّن أن هذه الحقائق الإسلامية الأربعة لن تتحقق في واقع الحياة إلا بعد أن تخطو الأمة المسلمة خطوتين متلازمتين.

الأولى: رجوع كل دولة في بلاد المسلمين إلى الإسلام، وتطبيقه الجاد الهادف في كافة مجالات الحياة، وتربية المسلمين عليه.

الثانية: تكتل الدول الإسلامية كلها في كتلة واحدة، ووقوفها أمام الطامعين فيها من الأمريكان وغيرهم.

وهذه الكتلة الإسلامية هي التي تجمع المسلمين، وتحقق التوازن بين الكتلتين المتصارعتين: الرأسمالية والشيوعية.

ودعا في خاتمة هذا القسم المسلمين إلى العمل الجاد على تحقيق وإيجاد هذه الكتلة، والوقوف أمام الأمريكان وغيرهم، والسير في طريق الخلاص الوحيد، وهو العودة إلى الإسلام، وتطبيقه ونشره في العالمين. عند ذلك يتحقق " السلام العالمي " الذي تتنادى إليه البشرية كلها!!

أهمية نشر هذا الحديث

بهذا التعريف بأقسام الفصل الأخير: " والآن.. "، الذي جعله سيد قطب خاتمة كتابه " السلام العالمي والإسلام "، نجد أنه فصل مهم جداً، وأن حديثه فيه عن الحرب الأمريكية ضد الأمة المسلمة حديث خطير، وأنه قدم فيه تحليلاً دقيقاً صادقاً للصراع العالمي بين القطبين المتصارعين فيه: القطب الأمريكي والقطب السوفياتي، وتحليلاً دقيقاً صادقاً للطبيعة الأمريكية المحاربة، وسيطرة " شهوة الحرب " على أمريكا، وتمكن " النزعة " العسكرية العدوانية فيها!

توضيح عشرة أمور هامة:

والمهم في هذا الحديث الدقيق الصادق، والتحليل السياسي الرائع، أن سيد قطب أبدع فيه في الأمور التالية:

١) بيان القوى المتصارعة في العالم، بقيادة المعسكرين الظالمين: المعسكر الأمريكي، والمعسكر السوفياتي، وتقرير أن هذه القوى المتصارعة هي التي تنشر الحرب والدمار والخراب في العالم، والتي تهدد " السلام العالمي "، رغم زعمها الحرص عليه، والدعوة إلى تحقيقه، ولو عن طريق الحرب.

٢) التحليل الدقيق للطبيعة الأمريكية العدوانية، ورسم ملامحها الواضحة، وتقرير أن أمريكا لا تعيش إلا بالحرب، وأنها لن تخرج من حرب إلا لتدخل في حرب أخرى، فالحرب قد سيطرت عليها، ووجّهت خططها وبرامجها، فهي العدوة الأولى للسلام العالمي، وهي السبب الأول في مشكلات ومصائب ومآسي الشعوب، وفي مقدمتها الشعوب المسلمة.

٣) بيان الخطة الأمريكية في السيطرة على العالم، والهيمنة عليه، واستعماره، وإدراك حقيقة هدفها من تقديم المساعدات المالية والاقتصادية له، وأنها لا تساوي شيئاً أمام نهبها لموارده وخاماته، وبيان أساليبها في الضغط عليه، ليتبعها ويسير معها.

٤) المعرفة الدقيقة بالأخطار التي تلحق بالمسلمين، بسبب انضمامهم إلى أمريكا، أو إلى روسيا، وتحذيرهم من ذلك، وبيان خطورة وخطر كل من أمريكا وروسيا عليهم، وتكذيب " الطابور الخامس " الذين ينشرون الدعاية لهذه أو تلك في بلاد المسلمين!

٥) التوقع الصادق لميدان الحرب الأمريكية القادمة، وأن أمريكا ستجعلها في بلاد المسلمين، لجعل أبنائهم وقوداً لها، وجعل موارد المسلمين وخاماتهم زاداً لها، واستعمارها لبلاد المسلمين، ونهبها لخيراتهم!

٦) كشف أعوان أمريكا في بلاد المسلمين، وبيان التحالف الوثيق بين الرأسمالية المحلية في بلاد المسلمين والرأسمالية الأمريكية، وأن أصحاب رؤوس الأموال هؤلاء هم المستفيدون من تلك الحرب!

٧) حصر طريق الخلاص أمام المسلمين، بأنه في عدم الانضمام إلى أمريكا، ولا إلى روسيا، وإنما في العودة الصادقة إلى الإسلام، وتطبيقه الجاد في بلاد المسلمين، ورسم الخطوات العملية لذلك.

٨) الدعوة الصريحة إلى إنشاء الكتلة الإسلامية القوية، ووقوفها أمام الكتلتين الطامعتين في بلاد المسلمين ومواردهم: الكتلة الأمريكية والكتلة الروسية.

٩) الدعوة إلى جهاد الأعداء المحتلين، والوقوف أمام الغزاة الطامعين، من الأمريكان وغيرهم، وتقرير أن الأمة المسلمة القوية قادرة على الصمود أمامهم.

١٠) تقرير كلمة الإسلام، الدقيقة الفاصلة في لعن الحرب الأمريكية القادمة، ولعن القائمين عليها، وتحريم مشاركتهم فيها، وتحريم التحالف معهم، وتحريم تقديم الدعم والتسهيل لهم، وتحريم توريد الطعام والحاجات لهم.

الحديث ينطبق على واقعنا الآن:

وهكذا نرى أن هذا الحديث الهام تحليلي سياسي صادق، وكلام إسلامي محدد، وفيه تحصين الأمة المسلمة من التبعية لأمريكا، ووضعها على طريق الخلاص، وتقديم " برنامج عملي " يحقق لها ما تريد، ويضمن لها النصر..

فهذا الفصل الأخير من الكتاب هو الثمرة الطيبة له، والنتيجة الحتمية التي توصل إليها فصولُه السابقة.. وفي تنفيذ ما فيه يتحقق " السلام العالمي " الذي تنشده شعوب العالم أجمع، والذي لا يتحقق إلا في اتحاد المسلمين في كتلة ثالثة.

ومن دقة تحليل سيد قطب في الفصل المذكور أنه ينطبق على ما تواجهه الأمة الإسلامية في هذه الأيام، وكأنه لم يكتبه قبل ثلاث وخمسين سنة في ظلال الحرب الكورية

التي انهزمت فيها أمريكا عام ١٩٥١، وإنما كتبه بعد تدمير مركز التجارة العالمي والبنتاجون في أيلول ٢٠٠١، وكأن سيد قطب معنا، يتابع تطورات الأحداث، التي أعقبت تلك التفجيرات، ويرى غزو أمريكا لأفغانستان، ويسمع طبول الحرب العالية التي تقرعها أمريكا الآن ضد العراق، ويحلل كل ذلك تحليلاً إسلامياً!!

تحقق خمسة أحداث توقعها سيد قطب:

ومن صحة توقعات سيد قطب في الفصل المذكور، وصدق تنبؤاته، ونفاذ فراسته، أن بعض ما توقعه وتنبأ به انطبق وتحقق بعد ذلك، ومن ذلك:

١) توقع زوال الكتلة الشرقية الشيوعية، وبين أن زوالها ومحوها ليس من مصلحتنا: قال: (إنه ليس من مصلحتنا نحن، ولا من مصلحة الإنسانية أن تتغلب الآن إحدى الكتلتين على الأخرى، وتمحوها من الوجود محواً.. ليس من مصلحتنا أن تهزم الجبهة الشرقية هزيمة نهائية، ولا من مصلحة الإنسانية كذلك..).

وقد زالت الكتلة الشرقية بعد تحطم الاتحاد السوفياتي في مطلع التسعينيات من القرن العشرين!

٢) توقع تحطم الاتحاد السوفياتي، وموت الشيوعية، وتخلي الدول الشرقية التابعة لروسيا عنها.. قال: (ولئن انتصرت الشيوعية، فَلَيَنْبَتَنَّ لها عدوُّها من ذات نفسها، من الضغط والكبت اللذين لا تطيقهما البشرية طويلاً! وقد بدأت يوغسلافيا حتى قبل المعركة، وسيتبعها التشقق في المعسكر الشيوعي لنفس الأسباب..).

ولقد تشقق المعسكر الشيوعي وتحطم، وانتهى حلف " وارسو " الشيوعي، وتخلت دوله عن الشيوعية، ودفنت روسيا الشيوعيةَ على يد " غورباتشوف " ومن بعده، وصارت تابعاً لأمريكا.

٣) توقع انفراد أمريكا بالهيمنة على العالم، وتوجيهه لصالحها، والتعامل معه بصلف واستكبار، وعند ذلك ستخسر البشرية خسارة بالغة. قال: (على أنني أعيذ البشرية أن يستبد بها الصلف الأمريكي السخيف، الذي قد لا يقاس إليه الصلف البريطاني ذاته في أرض المستعمرات.

إن عداوة الأمريكي للملونين عداوة كريهة بغيضة، وإن احتقاره للملونين لتهون إلى جانبه تعاليم النازية، وإن صلف الرجل الأبيض في أمريكا ليفوق كل ماكانت تتصوره الهتلرية.

وويل للبشرية يوم يوقعها سوء الطالع في ربقة هذا الصلف الأمريكي، بلا قوة في الأرض تخشى، ويعمل لها حساب..).

وقبل أن ينتهي القرن العشرون انفردت أمريكا بالهيمنة والسيطرة على العالم، وها نحن نرى الصلف والغطرسة والتكبر والاستعلاء في تعامل أمريكا مع الدول والشعوب الأخرى، فالرأي رأيها، والحكمة عندها، والصواب ما معها، وعلى العالم أن يكونوا تابعين لها، دائرين في مدارها.. ومن لم يكن معها فهو ضدها! إنها تستعمر البلدان، وتستعبد الشعوب.. وكم ستدفع البشرية من انفراد أمريكا بالسيطرة على العالم!

٤) توقع ظهور قوة جديدة تقف أمام أمريكا، بعد تحطيمها لقوة الاتحاد السوفياتي، وهذه القوة ستكون ألمانيا. قال: (على أن طبيعة الحياة تأبى الانتصار الكامل الحاسم لقوة واحدة من هاتين القوتين الماديتين..

وها نحن أولاء نرى أن الحلفاء الذين بذلوا ما بذلوا ليقهروا ألمانيا واليابان، ينحتون اليوم على الحطام والأشلاء، ليستنقذوا منها المارد الذي صرعوه بالأمس، كي يستعينوا به على المارد الجديد.. نفس الذي فعلوه بعد الحرب العالمية الأولى..

ولئن انتصروا غداً على الجبهة الشرقية، فليواجهُنَّ ألمانيا من جديد..).

ولقد انتصرت أمريكا على الجبهة الشرقية، وحطمت الاتحاد السوفياتي – كما أشرنا قبل قليل – وها هي " ألمانيا " تتقوّى، وتظهر من جديد.. وها هي تعمل على ظهور قوة " الاتحاد الأوروبي " وتعمل على تقوية أوروبا، للوقوف أمام أمريكا، وتضع يدها بيد شريكتها في بعث أوروبا، وهي فرنسا. وتتعاون ألمانيا وفرنسا معاً في هذه الأيام في الوقوف أمام الأطماع الأمريكية، وسيكون لهما في المستقبل دور كبير في قيادة أوروبا، وجعلها قوة عظمى تكبح جماح الاستعمار الأمريكي..

كلام سيد قطب عن الحرب الأمريكية الحالية:

٥) توقع أن تكون بلاد العرب والمسلمين ميدان المعركة القادمة التي ستديرها أمريكا.. قال: (إن المعركة في صميمها ستدور في أرض غير أرض الكتلتين.. ستدور في تركيا وإيران، والعراق وسوريا، ومصر والشمال الأفريقي.. وفي باكستان وأفغانستان ،

وفي منابع البترول الإيرانية والعربية في عبّادان والظهران.. إنها ستدمر مواردنا نحن، وتحطم حياتنا نحن، وتدع أرضنا بقعاً خراباً يباباً.

وسواء علينا انتصرت هذه، أم انتصرت تلك، فسنخرج نحن من المعركة فتاتاً وحُطاماً، لا كما خرجت أوروبا من الحروب الماضية، ولكن كما لم تخرج أمة من حرب قط..

وإذا كانت " هيروشيما " قد ذهبت مثلاً، بقنبلة ذرية صغيرة، فسنكون نحن تلك الفئران الصغيرة لتجارب القنابل الذرية والقنابل الهيدروجينية، وغاز الموت الزاحف، وأشعة الموت السحرية، وحرب الميكروبات الطائشة، وسائر ما يتمخض عنه الذهن الكافر، في دنيا الضمير الغربي الملوَّث..).

وندعو إلى قراءة هذه الفراسة والبصيرة النافذة، التي توقَّعها سيد قطب قبل أكثر من خمسين عاماً، قراءتها أكثر من مرة، وملاحظة انطباقها على واقع بلدان العرب والمسلمين في هذه الأيام..

الحروب الأمريكية الأخيرة ضدنا:

أمريكا تخطط لحرب شاملة، ميدانها أرض العرب والمسلمين، وقد نفَّذتها في عدة مواقع من هذه البلاد. وأمريكا حريصة على أن لا تنشب المعركة على أرضها، بل تبقى أراضيها ومدنها ومنشآتها ومصانعها في منأى عن تلك الحرب، تريد أن تجعل بلاد الآخرين ومواردهم ومدنهم وشعوبهم وقوداً لحربها، ولتحقيق مصالحها.

خططت أمريكا لحرب الخليج الأولى، التي استمرت عدة سنوات، وكانت بين العراق وإيران، وحول منابع النفط في " عبّادان " في إيران..

وخططت أمريكا لحرب الخليج الثانية، وقادت تحالفاً دولياً ضد العراق، لاحتلاله الكويت، ودارت الحرب حول منابع النفط في " الظهران " وغيرها من آبار النفط، في السعودية والعراق وباقي دول الخليج..

وجربت أمريكا في هاتين الحربين مختلف أسلحتها البيولوجية وغيرها، وجعلت الناس في المنطقة حقل تجارب لتلك الأسلحة، كما تكون الفئران تجارب في مختبرات العلماء البيولوجيين!

وفي مطلع القرن الحادي والعشرين شنت أمريكا حرباً تدميرية ضد أفغانستان، دمّرت فيها المدن والقرى والجبال والوديان، وقضت على مئات الآلاف من الأفغان، وجرّبت فيها ما جرّبت من الأسلحة المختلفة.

ورغم أنها نجحت في إسقاط نظام " طلبان " والإتيان بنظام تابع لها، إلا أنها لم تنجح في تحقيق هدفها العلني من الحرب، وهو إلقاء القبض على " أسامة بن لادن "، حيث عجزت عن القبض على ابن لادن والملا عمر.. وما زالت أفغانستان نقطة ساخنة، لم تنته فيها الحرب، وستبقى مستعرة في المستقبل، وقد تورطت أمريكا في " المستنقع الأفغاني " الذي سيكون له دور كبير في إزالة الهيمنة الأمريكية الظالمة، كما كان له دور في إزالة الاتحاد السوفياتي من قبل..

وها هي تخطط الآن لحرب الخليج الثالثة، وتستعد لغزو العراق، بحجة امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل، وهي في هذه الحرب تهدد السلام والأمن في المنطقة، وفي العالم كله، ولا يعلم إلا الله أبعاد هذه الحرب الشاملة، وخطورتها على المنطقة العربية والإسلامية، ونتائجها وآثارها، والمشكلات التي ستنتج عنها..

لكنها ستكون في النهاية بداية النهاية للهيمنة الأمريكية على العالم، وستكون أمريكا هي الخاسر الأكبر من هذه الحرب بإذن الله.

حذف ذلك الفصل من طبعات الكتاب اللاحقة:

هذه هي أهمية الفصل الأخير: " والآن.. " الذي ختم به سيد قطب كتاب " السلام العالمي والإسلام " وأصدره في أكتوبر – تشرين أول – عام ١٩٥١، ونشرته دار الكتاب العربي.

ولما صدرت الطبعة الثانية من الكتاب حُذفَ منه ذلك الفصل، وقد صدرت الطبعة الثانية عن مكتبة وهبة عام ١٩٥٢. بعد قيام الثورة.. وظهر الكتاب في الطبعات اللاحقة خالياً من ذلك الفصل، الطبعات التي صدرت في القاهرة قبل استشهاد سيد قطب عام ١٩٦٦، والطبعات غير الشرعية الصادرة بعد استشهاده، وطبعات دار الشروق الشرعية السبعة، التي كان آخرها طبعة عام ١٤١٣ – ١٩٩٣.

وبينما كنت أعد دراستي للماجستير عن سيد قطب عام ١٩٧٨، وجدت نسخة من الطبعة الأولى من الكتاب الصادرة عام ١٩٥١ وقرأت الفصل الأخير المذكور،

وعجبتُ لعدم وجوده في الطبعات اللاحقة، فصوَّرتُه واحتفظت به. وكنت أحدِّث إخواني ومعارفي عنه، وكلما تحققت واحدة مما توقعه سيد قطب في الفصل المذكور، كنت أعجب مما توقعه، سواء زوال الشيوعية، أو تحطيم الاتحاد السوفياتي، أو انفراد أمريكا بالهيمنة على العالم، أو حروب الخليج.

وكنت أرى أهمية نشر ذلك الفصل، وأنوي نشره ليطلع عليه القراء، ثم أنصرف عنه إلى عمل علمي آخر..

حديث الأستاذ محمد الحسناوي عن الفصل المذكور:

وفي عام ١٤٢١ - ٢٠٠٠ أصدر الأستاذ الأديب محمد الحسناوي رسالة قيمة، هي رسالة: " صفحات في الفكر والأدب " التي صدرت ضمن سلسلة " كتب قيمة " التي تصدرها دار القلم، وكانت برقم (٤٢).

ونشر الأستاذ الحسناوي الفصل المذكور، ومهّد له بكلمة، جعل عنوانها " سيد قطب والفصل المفقود ". أبدى فيه استنكاره لحذف ذلك الفصل من طبعات كتاب " السلام العالمي والإسلام ".

واعتبر حذف ذلك الفصل جريمة نكراء، وسجّل ثلاث نقاط حول ذلك:

قال: (ولكي نكون موضوعيّين في تقدير حجم الجريمة المقترفة بحق مؤلّف الكتاب، نثبت النقاط التالية:

١) إن حذف شيء من مؤلَّفٍ بغير إذن صاحبه لا يجوز خُلُقاً ولا علماً، هذا بالنسبة إلى صاحب الكتاب..

٢) أما بالنسبة إلى قارئه، فإنه يخسر الجزء الأهم في الكتاب.. لأن خُطَّة الكتاب جارية خطوة خطوة، حتى تصل إلى الخلاصة أو الزبدة أو النتيجة، فيأتي من يقطع هذه الثمرة، ويلقي بها في الفناء، وبلا أدنى إشارة أو اعتذار.

٣) إذا عرفنا أن القسم المحذوف يخدم حذفه أعداء البشرية جمعاء، وهم أعداء الشهيد سيد قطب، اتضح حجم الجريمة، ومن يقف وراء اقترافها..) [صفحات في الفكر والأدب: ٧٤ - ٧٥].

وختم الأستاذ محمد الحسناوي كلمته بين يدي الفصل المحذوف بقوله: (وفي الختام ندين الجهات التي حذفت هذا القسم المهم من الكتاب، وندعو إلى إعادة نشره، مفرداً أو ضمن كتاب..) [صفحات في الفكر والأدب: ٧٨].

وقد حرّكت دعوة الأستاذ الحسناوي الرغبة لكامنة عندي لنشر ذلك الفصل المحذوف.

لماذا نشر الحديث الآن؟

والذي قوّى من عزيمتي لنشره الأحداث الخطيرة المتسارعة، منذ مطلع القرن الحادي والعشرين، وهي أحداث مهمة ومتتابعة، تستهدف بلاد المسلمين، وتحمل من التطورات والمفاجآت الكثير، بحيث صار مجرد متابعتها ورصدها يتعب الأنفاس والأعصاب والمشاعر..

لقد بدأ القرن الجديد الذي شهد انفراد أمريكا بالسيطرة على العالم، بالحدث الخطير المثير، الذي أدى إلى تدمير مبنى التجارة العالمي في نيويورك ومبنى البنتاجون في واشنطن، والذي اتُهم فيه تنظيم القاعدة بقيادة المجاهد أسامة بن لادن بتدبيره، مع أن الأنظار تتجه إلى اتهام الإدارة الأمريكية نفسها – أو جماعات أمريكية داخلية، أو اليهودية العالمية – به.

وهاجت أمريكا وماجت بعد الحادث، وأعلنتها حرباً " صليبية " – كما نطق بذلك الرئيس الأمريكي نفسه، ثم تراجع عنه بعد ذلك للتمويه – على الإسلام والمسلمين بحجة محاربة العنف والإرهاب..

وأدى تسارع الأحداث إلى احتلال أمريكا لأفغانستان، بحجة أن نظام طالبان كان داعماً للإرهاب.. ولم تخرج أمركيا حتى الآن من أفغانستان.. ولن تخرج منها سالمة بإذن الله.

وانتقلت أمريكا في نهاية عام ٢٠٠٢ إلى الحديث عن العراق، وكيل الاتهامات العديدة له، و " تهييج " العالم ضده، والتخطيط لحربه، وحشد الحشود وإحضار الأسلحة والقوات والجنود لذلك، وإعلان حرب إعلامية عالمية ضده، تمهيداً لحربه عسكرياً وغزوه واحتلاله!!

والأحادث متلاحقة، والتطورات متتابعة، والناس على أعصابهم، ينتظرون ما تحمله لهم الشهور والأيام – بل والساعات – القادمة.

وهذا ما تحدث عنه سيد قطب في الفصل المذكور، قبل أكثر من خمسين عاماً. ولذلك عملنا على نشره، مسبوقاً بهذه الدراسة، تبصيراً للمسلمين وتعريفاً لهم بأعدائهم، ليعرفوا مواقعهم ودورهم، ويُميِّزوا بين الحق والباطل.. والله المستعان!!

نص حديث سيد قطب

والآن..

الآن.. بعد استعراض فكرة السلام في الإسلام، والإلمام بفكرة الإسلام الكلية عن الحياة.. الآن بعد معرفة المدلول الكامل لكلمة " السلام " في الإسلام، هذا المدلول الذي يشمل إقرار السلام في الأرض، على أسس من العدالة المطلقة، ومن الخير الشامل. تحقيقاً لكلمة الله.. وإلا فالجهاد الدائم لتحقيق هذه الكلمة، والكفاح الدائم لدفع البغي والعدوان، والصراع الدائم مع الفساد والطغيان.

(١)
الإسلام هو الحل

الآن ما طريقنا نحن الأمة المسلمة؟ ما موقفنا من الصراع العالمي الذي يدور حولنا؟ ما واجبنا تجاه الحياة، وتجاه الإنسانية، وتجاه أنفسنا؟

لقد قلت في مطلع هذا الكتاب: إن عقيدتنا الإسلامية تملك أن تسعفنا بحلول عملية، لمواجهة مشكلاتنا الداخلية والخارجية.. وقد تبين من هذا الاستعراض أن هذه العقيدة لا تفصل بين المشكلات الداخلية والمشكلات الخارجية، فهي تربط بينها في حياة الإنسانية، وتربط بينها في وسائل العلاج.

ولقد شهدنا روابط كثيرة بين مسألة السلام العالمي في المحيط الدولي، وبين حياة الفرد في ضميره، وحياته في الأسرة، وحياته في الجماعة. وشهدنا روابط كثيرة بين مثيرات النزاع والصراع في الميدان الدولي، وكثير من المشاعر والنظم والاقتصاديات في داخل الجماعة..

(٢)
النظر للصراع الدولي بمنظار الإسلام

فالآن ما طريقنا؟ كيف نواجه مسألة السلام العالمي بعقيدتنا الإسلامية؟ وكيف نتصرف في المجال الدولي طبقاً لهذه العقيدة؟

قبل الإجابة علىهذا السؤال، أحب أن نواجه الواقع العملي في محيط الكتل التي تتصارع اليوم في المجال الدولي، أحب أن نستعرض المبادئ التي يقوم عليها هذا الصراع، والعوامل التي تدفعه وتؤثر فيه..

فعلى ضوء هذه المواجهة يمكن أن نعرف رأي الإسلام في تلك المبادئ ورأيه في هذه الدوافع؛ وأن نعرف كذلك موقفنا الذي يجب أن نتخذه؛ وندرك إن كان الموقف الذي تُمليه علينا عقيدتنا هو ذات الموقف الذي يحقق مصالحنا؟ أم إن هنالك تعارضاً بين واجبنا لعقيدتنا، وواجبنا لمصالحنا، إن كان هنالك مثل هذا التعارض!

فإذا اتضح أن الحلول التي تمليها علينا عقيدتنا الإسلامية هي ذات الحلول التي تمليها علينا مصالحنا، بل هي ذات الحلول التي تمليها مصلحة الإنسانية العليا، وخير البشرية جميعاً.. فإننا نسير إذن في الطريق على هدى، ونسير فيها بقوة، ونسير فيها باطمئنان..

وفي هذه الحالة يصبح الهتاف بتنحية العقيدة الإسلامية عن مجرى حياتنا السياسية أو الاجتماعية لغواً لا يستند إلى دليل، وهذراً لا يستحق الاحترام!

فلنأخذ على بركة الله في استعراض الواقع البشري الذي نواجهه، لنعرف فيه رأي المصلحة الإنسانية والمصلحة القومية، ورأي الإسلام.

أولاً
على حافة الهاوية

(٣)
أمريكا تقرع طبول الحرب

ناقوس الحرب يدق. ها هو ذا يقرع سمع البشرية المنكودة الطالع، ولقد سمعته من قبل في أمريكا، حتى قبل قيام الحرب الكورية [١].

وكل من عاش في أمريكا خلال الأعوام الأخيرة، يدرك بوضوح أن أمريكا ستحارب، كل شيء ينطق بهذه الحقيقة أو يوحي، التعبئة العامة لكل قوى الشعب وموارده قائمةعلى قدم وساق [٢]؛ وما يغطي هذه التعبئة إلا ستار رقيق من الديبلوماسية، قد يحجب الحقائق في خارج أمريكا، أما في داخلها فهي أبرز من أن يحجبها ذلك الستار..

وكل من يتتبع الصحافة الأمريكية، وأجهزة الدعاية الأخرى، في الإذاعة والسينما – بل في داخل الجامعات والمعاهد – يُدرك بوضوح أن هذه الأمة تستعد للحرب – للحرب القريبة – وأنها تُعبئ الرأي العام، وتُعدُّه إعداداً ثابتاً كاملاً شاملاً [٣]؛ وأنها إن لا تكن هي الحماقة المؤكدة في إنفاق كل هذه الجهود، فإنها الحرب المؤكدة إذن، وعن قريب!

---

[١] أقام سيد قطب في أمريكا حوالي سنتين (١٩٤٨ – ١٩٥٠)، موفداً من وزارة المعارف في مصر، للاطلاع على مناهج التعليم في أمريكا، وقد تكلمنا عن ذلك في كتابنا " أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب ".

[٢] قامت الحرب الكورية سنة (١٩٥١)، التي أدت إلى هزيمة أمريكا، وتقسيم شبه الجزيرة الكورية إلى " كوريا الشمالية " الشيوعية و " كوريا الجنوبية " التابعة لأمريكا. وبذلك تحقق ما جزم به سيد قطب، بعد شهور من كتابته له، وبعد ثلاث سنوات من دقِّ أمريكا لطبول الحرب.

[٣] لأمريكا طريقة عجيبة في " تهييج " الرأي العام عندها للحرب، واستخدام مختلف المؤثرات لغسل أمغة الناس وعقولهم، والضغط على شعبها ليوافقها على حربها، هذا ما فعلته قبل أكثر من خمسين سنة كما ذكر سيد قطب، وهذا ما فعلته بعد ذلك في حرب فيتنام، وفي حرب الخليج عام ١٩٩١، وفي حرب أفغانستان عام ٢٠٠٢، وما تفعله الآن في حشودها العالمية ضد العراق، وما تسميه بالإرهاب!

(٤)
أمريكا تدفع أوروبا للحرب

إن أمريكا تريد أن تحارب؛ ولو طاوعتها أوروبا لما صبرت عن الحرب حتى حادث " كورية "، فلقد كانت تريدها حرباً كاملة منذ أزمة برلين المعروفة [٤]؛ ولكن أوروبا المحطمة كانت أعجز من أن تلبي رغبة أمريكا الملحّة، وهي ما تزال تلعقُ جراحها، وتعالج مآسيها؛ فضلاً عن أن للشيوعية فيها قوى مذخورة، تتهيأ للّحظة المنظورة؛ وإغراء الدولار كان يملك أن يصنع كل شيء في أوروبا، إلا أن يدفعها إلى حرب عالمية ثالثة.. ولهذا وحده صبرت أمريكا!

(٥)
أمريكا تحارب لحل مشكلاتها الداخلية

إن رؤوس الأموال الأمريكية في حاجة ملحة إلى حرب جديدة! هذه هي المسألة! إن الفتوحات العلمية التي أسرعت خطاها في الحرب الماضية، والتجارية التي أفادتها الصناعة من تعبئة الموارد في أيام هذه الحرب، قد هيأت للصناعة الأمريكية فرصاً جديدة لمضاعفة الإنتاج [٥]، في الوقت الذي أصبحت مسألة التصريف مسألة عسيرة!

ومع أن الأسواق كانت بعد الحرب خاوية، وفي حاجة ماسة إلى الإنتاج المدني، وخالية من المنافسة الأوروبية، إلا أن القدرة على الشراء كانت ضعيفة، وبخاصة في أوروبا المحطمة..

ومعنى هذا هو الكساد بالقياس إلى الإنتاج الأمريكي؛ ومعنى الكساد هو الخسارة المؤكدة لرؤوس الأموال الأمريكية..

---

[٤] وقد كانت تصر على حرب الهند الصينية، وتدفع فرنسا إلى الاستمرار فيها، وتشترك بحاملات الطائرات وتنذر بدخول القوات الأمريكية، لولا أن فرنسا آثرت السلامة! (سيد قطب).

[٥] إذا كان هذا هو الوضع الصناعي والتجاري والتسويقي الأمريكي قبل أكثر من خمسين عاماً، فكيف سيكون مستواه في هذه الأيام، بعد القفزة الصناعية المذهلة؟ إن الحرب الآن أكثر من ضرورة حتمية للصناعة الأمريكية!

(٦)
الأهداف الأنانية لمشروع " مارشال "

ومن هنا كان " مشروع مارشال " [٦]، وكان لهذا المشروع غايات أساسية ثلاثة:

الغاية الأولى: كانت هي تصريف الإنتاج الأمريكي الفائض، دون أن تدفع الدول المنتفعة به ثمنه نقداً بالدولار الأمريكي، فقد كانت الحكومة الأمريكية تفتح الاعتمادات للدول الأوروبية، لتنفقها هذه الدول في شراء الإنتاج الأمريكي في الغالب.

وحقيقة إن رؤوس الأموال الأمريكية كانت تتحمل ضرائب عالية، لتمكين الحكومة من تنفيذ مشروع مارشال؛ ولكنها مع هذه الضرائب العالية كانت تحقق ربحاً لا شك فيه بتنفيذ المشروع، وتتقي الخسارة التي تنشأ من الكساد!

والغاية الثانية: كانت هي اتقاء حالة التبطل بين عمال أمريكا، وما يتبع التبطل من هزات اجتماعية، بعد وقف الإنتاج الحربي الذي كان يستغرق هذه الأيدي العاملة، وكان هذا يقتضي إيجاد متصرف للإنتاج المدني يسمح بتشغيل المصانع إلى الحد الأقصى.. فكان مشروع مارشال وتغذية دول أوروبا بالآلات، هو الوسيلة لتحقيق هذا الهدف، الذي ينطوي بدوره على تحقيق نوع من الربح لرؤوس الأموال الأمريكية.

والغاية الثالثة: كانت هي تعمير أوروبا، وإعادة سير الحياة فيها – وبخاصة حياة العمل – تحقيقاً للنشاط الاقتصادي العالمي كله من ناحية، ومقاومة للشيوعية في أوساط المتعطلين من ناحية أخرى.. وكان مشروع مارشال يعاون على تحقيق هذه الغاية.

ومن هنا يعد " مارشال " صاحب هذا المشروع – في نظر الأمريكان – أحد رجال التاريخ الأمريكيين.. وقد عدته مجلة " لوك LOOK " أحد " العشرين الذين صاغوا القرن العشرين " لا في أمريكا وحدها، بل في العالم على الإطلاق!

---

[٦] " مارشال " هو الوزير والخبير الاقتصادي الأمريكي، الذي وضع مشروعاً اقتصادياً بعد الحرب العالمية الثانية، للنهوض بالاقتصاد الأوروبي والعالمي في الظاهر، ولإحكام السيطرة الأمريكية الاقتصادية على العالم في الحقيقة، وتحقيق الاستعمار الأمريكي الاقتصادي للعالم! ولهذا كان لجورج مارشال منزلته العالية عند المخططين الأمريكيين.

(٧)
بريطانيا تمكر بأمريكا اقتصادياً

ولكن مشروع مارشال لم يكن يمكن امتداده إلى الأبد، فطبائع الأشياء تقتضي وقوفه عند حد معين؛ عندما تصل الأسواق الأوروبية إلى درجة التشبع من جهة، وعندما تصل أداة الإنتاج الأوروبية إلى درجة الإنتاج الكامل من جهة أخرى.. وقد استعادت أوروبا – أو أوشكت أن تستعيد – قدرتها الكاملة على الإنتاج؛ وعادت إلى الموقف الذي تصبح فيه مصدِّرة لا مستهلكة، ومزاحمة للإنتاج الأمريكي، لا في الأسواق الأوروبية وحدها بل كذلك في أسواق العالم الأخرى..

عند ذلك لعبت بريطانيا لعبتها الماكرة، التي استغلّت فيها سذاجة العقلية الأمريكية، وقلة خبرتها الدولية.. تلك هي لعبة تخفيض قيمة الجنيه الإسترليني بالنسبة لقيمة الدولار.

فلقد تركت أمريكا تُقدمُ عليها، تحقيقاً للقيمة الواقعية للدولار في الأسواق، لا القيمة الاسمية، وتظاهرت بالذعر منها والإشفاق، وهي تكتم عن حليفتها نية أخرى! تلك النية التي لم تتبينها أمريكا إلا أخيراً [٧]!

أما النتيجة فكانت هي إغلاق الأسواق في وجه البضائع الأمريكية، التي أصبحت أسعارها مرتفعة بالقياس إلى العملة في منطقة الإسترليني. احتفاظاً بهذه الأسواق للبضائع الإنجليزية، التي لم تتأثر أسعارها بتخفيض قيمة الجنيه الإسترليني في منطقة الإسترليني، أما في سواها فقد صارت أرخص بكثير من مثيلها الأمريكاني.

(٨)
أمريكا ترد على الخديعة البريطانية

وعندما تنبهت أمريكا أخيراً إلى هذه الخدعة، أخذت ترد عليها باستتراف الخامات من الأسواق العالمية، مستعينة بقدرتها الفائقة على الشراء، وبقوة نقدها في الأسواق العالمية، ذلك كي ترفع سعر هذه الخامات في وجه الصناعة البريطانية؛ وتجعلها

[٧] الحرب الاقتصادية ناشبة بين الدول والشركات، حتى بين الدول المتحالفة في الظاهر، وهي حرب ليست أخلاقية.. وبريطانية معروفة بالكيد والمكر والدهاء والخبث في هذه الحرب، بحيث تبدو أمريكا أمامها ساذجة مغفلة!

أقل قدرة على المنافسة، لأن ارتفاع ثمن الخامات يُجبر الصناعة الإنجليزية على رفع أسعار المنتجات؛ وبذلك يقع شيء من التعادل بين الأسعار الأمريكية والأسعار الإنجليزية.

وقد ارتفع سعر خامات الصوف مثلاً خمسمائة في المائة، لأن الصوف صناعة إنجليزية رئيسية، وكذلك ارتفعت أسعار معظم الخامات، التي تقوم على أساسها الصماعة البريطانية، بتأثير هذه الخطة الأمريكية، التي جاءت رداً على الخدعة الأمريكية! وكان هذا سبباً رئيسياً في موجة الغلاء التي عمّت العالم أخيراً [٨]، بجانب الأسباب الطبيعية الناشئة من الاستعدادات للحرب العالمية.

(٩)
انتشار البطالة بين ملايين الأمريكيين

إلا أن هذا الإجراء الأمريكي لم يكن ليزيد على أنه إجراء وقتي، لمواجهة هجوم معين، ولكن الحالة العامة في الأسواق، بالقياس إلى استقبال الإنتاج الأمريكي لم تتأثر تأثراً يذكر..

وقد صادف ذلك صدمة كاملة، باكتساح الشيوعية لذلك القسم الهام من أسواق العالم، وهو الصين، الصين ذات الخمسمائة مليون من السكان [٩]، ربع سكان الأرض على وجه التقريب!.

وحقيقة إن الصين لم تكن سوقاً أمريكية رئيسية، ولكن كان المرجو بعد هزيمة اليابان أن تصبح كذلك، فلما اكتسحتها الشيوعية أغلق هذا المنفذ..

وأحسّت رؤوس الأموال الأمريكية بشيء من الاختناق، كما أحست الدوائر الاجتماعية بالخطر من انتشار البطالة، وقد بلغت الأيدي المتعطلة قبيل الحرب الكورية نحو خمسة ملايين – نقصت إلى ثلاثة ملايين بعد ابتداء هذه الحرب –!

---

[٨] جشع وصراع الدول الكبار، يوقع الشعوب في المصائب والنكبات، والضنك والفقر، فالظالمون يتصارعون، والشعوب تدفع الثمن، وما حصل نتيجة الصراع بين أمريكا وبريطانيا، يتكرر باستمرار، وتدفع شعوب العالم الثالث ثمنه باهظاً عالياً.

[٩] كان هذا قبل أكثر من خمسين عاماً، أما الآن فإن عدد سكان الصين أكثر من مليار ومائة مليون!

(١٠)
أمريكا تخطط لحرب شاملة

ومن هنا لم يكن بد لأمريكا أن تحارب.. وإذا كانت الحرب الكورية قد اجتذبت نحو مليونين من الأيدي المتعطلة، فإنها لا تصلح وحدها علاجاً للموقف.. ولا بد من حرب شاملة تجتذب جميع الأيدي العاملة من جهة، وتضمن لرؤوس الأموال أرباحاً كاملة من جهة أخرى [١٠] !

فالحرب بالقياس إلى أمريكا اليوم [١١] هي ضرورة حياة قومية، فضلاً على الرغبة القوية في وقف تيار الشيوعية العالمية بطبيعة الحال، هذا التيار الزاحف، الذي يغمر في كل يوم أرضاً جديدة، ويقفل في كل يوم سوقاً جديدة [١٢] !

(١١)
تلكؤ أوروبا أمام ضغوط أمريكا الحربية

وإذا كانت أوروبا تتلكأ في الاستجابة لأمريكا، فتؤجل بذلك التلكؤ موعد نشوب الحرب، المطلوبة؛ فأنها لن تتلكأ طويلاً، لأنها ستجد نفسها قريباً مدفوعة إلى الحرب بنفس الأسباب التي تدفع أمريكا.

وفي اليوم الذي يبلغ الإنتاج الأوروبي الرأسمالي ذروته، سيواجه الموقف ذاته بالنسبة إلى الأسواق.. وما دامت الشيوعية تزحف، وهي لا بد أن تزحف [١٣]، تُملي لها تلك الأحوال الاجتماعية السيئة في معظم بلاد العالم، وفوارق الطبقات السحيقة، التي تثير الحنق في الصدور، ويغذيها ذلك الجشع الغبي، الذي تستمسك به الرأسمالية والإقطاعية، وبخاصة في مناطق الشرق..

---

[١٠] تعتدي أمريكا على الآخرين لحل مشكلاتها الداخلية، فمن مكاسبها الانتهازية العديدة من الحرب الكورية عام ١٩٥٠ تشغيل مليونين من العاطلين عن العمل! المهم عندها أن تنتفع هي، وعلى الآخرين السلام! وانظر إلى تحقيق هذين الهدفين الانتهازيين في الحروب المستمرة التي تخطط لها أمريكا.

[١١] ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام ١٩٥١، (سيد قطب).

[١٢] كان للشيوعية بريقها الخادع في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين المنصرم، ولكنها انتهت قبل نهاية ذلك القرن، بعدما تخلت عنها أمها روسيا، ودفنتها في ملفات التاريخ.

[١٣] انظر الحاشية رقم (٩) في الصفحة السابقة.

وما دامت الشيوعية تزحف، فهي تغلق في كل يوم سوقاً جديدة، في وجه الإنتاج الرأسمالي، في أوروبا أو أمريكا..

(١٢)
الرأسماليون المستفيدون من المجزرة العالمية

وهنا تلتقي مصلحة رؤوس الأموال هنا وهناك، في محاولة وقف هذا التيار، واسترداد الأسواق بقوة السلاح، أو على الأقل بالاستهلاك الحربي، وإنتاج الأسلحة والذخائر، وأدوات الموت والدمار..

تلك التي تضمن للمصانع أن تعمل، ولرؤوس الأموال أن تربح، وللملايين أن تموت!

فموقف أوروبا الحاضر، وتلكؤها في الاستجابة لهاتف الحرب، ومحاولتها تهدئة الأعصاب الأمريكية الثائرة [١٤].. كل أولئك عوامل وقتية للسلام؛ وليست ضمانات حقيقية لهذه البشرية المنكودة الطالع، التي تدفع بها إلى المجزرة مصالح رؤوس الأموال ومطامعها، وما يكمن وراء هذه المصالح والمطامع من مادية فكرية، لا تقيم وزناً لأي عامل أدبي أو روحي، على الرغم مما تملأ به دعايتها من تلويح باسم المبادئ الأدبية، والأهداف الإنسانية!

[١٤] أوروبا تتلكأ دائماً في الاستجابة لأمريكا، وتحاول تهدئة أعصابها الثائرة لشن الحرب، ثم تشارك معها في الحرب مرغمة، وهذا ينطبق على موقف أوروبا من حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ ضد العراق، وينطبق على موقف بعض الدول الأوروبية في الحرب التي تدق أمريكا طبولها بعنف في هذه الأيام ضد العراق، التي تدق أمريكا طبولها بعنف في هذه الأيام.

ثانياً
في مفرق الطرق

(١٣)
الكتلتان المتحاربتان

وتقف الكتلة الشيوعية اليوم في جانب، وفي الجانب الآخر تقف الكتلة الرأسمالية؛ وتحاول كلتاهما أن تستدرج البقية الباقية من العالم إليها، وأن تستخدم في المجزرة موارد هذه البقية، مواردها البشرية والاقتصادية والجغرافية جميعاً.

(١٤)
وسائل أمريكا في الضغط على أتباعها لدخول الحرب

فأما الكتلة الرأسمالية بقيادة أمريكا، فتستخدم عدة وسائل لهذه الغاية [١٥]:

تستخدم أولاً عامل التخويف للرأسماليين في كل أنحاء العالم – وبخاصة في العالم العربي الإقطاعي – من الشيوعية التي تزحف يوماً بعد يوم؛ وتناشدهم المصلحة المشتركة بين الاستعمار والرأسمالية، وتلجأ في ذلك إلى المحالفة الطبيعية بين الرأسمالية المحلية والرأسمالية العالمية.

وتستخدم ثانياً الضغط السياسي والاقتصادي، وأحياناً الضغط المسلح، في البلاد الواقعة في ربقة الاستعمار المباشر وغير المباشر، كما هو الشأن في مجموعة البلاد العربية.

وتستخدم ثالثاً إغراء الدولار تحت عنوانات كثيرة، منها ذلك العنوان الجديد، الذي خلف مشروع مارشال، وهو عنوان " المساعدات الاقتصادية "، وعنوان " النقطة الرابعة " في مشروع " ترومان " [١٦] !

---

[١٥] ما زالت أمريكا تستخدم هذه الأساليب الثلاثة في الضغط على أتباعها في العالم العربي والإسلامي والدولي لمشاركتها في حروبها، وتبدو هذه الأساليب واضحة في حشد أمريكا قواتها للحرب، التي تخطط لها ضد العراق وغيره.
والذي تغير هو الخطر الذي تخوّف أمريكا أتباعها منه، فهو لم يعد الخطر الشيوعي، بعد دفن الشيوعية في روسيا، وإنما خطر " الإرهاب الإسلامي " بعد أحداث " ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ".

(١٥)
اعتماد أمريكا على الطبقات الحاكمة وليس الشعوب

وهي على العموم تخاطب الطبقات الحاكمة والمستغلة، ولا تعتمد كثيراً على الجماهير، لأن مصالح هذه الطبقات معلقة بانتصار الكتلة الرأسمالية.. وتبذل جهوداً جبارة في هذا السبيل، وإن كانت لا تريد في الوقت ذاته أن تلقي بالاً إلى مطالب الشعوب القومية..

وسيظل موقفها كذلك، إلى أن تتولى هذه الشعوب قضاياها بأنفسها؛ وتبرهن على أنها لا تستنيم لشعوذات المشعوذين من زعمائها وكبرائها؛ وأنها معتزمة أن تسبب للاستعمار وللجبهة الرأسمالية متاعب حقيقية؛ وتُعَرِّض مصالح هذه الجبهة وجيوشها لأخطار حقيقية في حالة نشوب حرب.. عندئذ فقط قد تُفكر الكتلة الرأسمالية الاستعمارية في الإنصات قليلاً لصيحات هذه الشعوب!

(١٦)
العرب ومواردهم وقود الحرب الأمريكية

إن هذه الكتلة تريد أن تضمَّنا إليها، لتستطيع أن تُجَنِّد من العرب وحدهم مليوناً، كما ورد في بعض البرقيات؛ ثم لتتخذ من بترولنا ومواردنا الغذائية، ومواقعنا الاستراتيجية، عدة للنصر [١٧]، في المذبحة العالمية المنتظرة؛ وبخاصة بعد تلك الصفعة القاسية التي أصابتها في الهند الصينية، وما تزال تترنَّح منها! ولقد قيل في الحرب الماضية: إن المحاربين كانوا يُطهِّرون حقول الألغام أحياناً في الصحراء الغربية بإطلاق الجمال والبغال عليها؛ فإذا عزَّت عليهم الجمال والبغال أطلقوا زنوج المستعمرات الأفريقية، يطهرون بأشلائهم المتطايرة حقول الألغام!

---

[١٦] " ترومان " هو رئيس أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، وفي عهده أقرّت " المساعدات الاقتصادية الأمريكية " للدول الأخرى، أو : استعمار الدول الأخرى اقتصادياً باسم المساعدات والمعونات والهبات والمنح الاقتصادية، وقد ضاعفت أمريكا من مساعداتها ومنحها الاقتصادية لدول العالم الثالث في نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين، مما جعل لها هيمنة مباشرة على تلك الدول.
و " النقطة الرابعة " هي البند الرابع من بنود مشروع " ترومان " في مساعدات أمريكا الاقتصادية، بهدف هيمنتها على العالم!

[١٧] كم دفع العرب من بترولهم ومواردهم في تمويل حرب الخليج الأولى، وحرب الخليج الثانية؟ وما هي أرقام " الفواتير " التي طالبتهم أمريكا بتسديدها؟ وكم سيدفع العرب في تمويل الحرب ضد العراق، التي تحشد لها أمريكا الحشود الآن.

وسواء صح هذا أم لم يصح، فإن وظيفة جند المستعمرات كانت دائماً هي تطهير حقول الحرب، وتمهيدها للسادة البيض، واحتمال الصدمة الأولى في المعارك الحامية.

وفي هذه الحرب الكورية الحديثة، تلقى " الألاي " التركي – اللواء التركي – الذي ذهب إلى هناك نفس المصير، وقام بنفس الدور.

ولن يختلف مصير المليون من الخراف العربية، التي سيقدمها السادة هنا لحلفائهم الطبيعيين، عن مصير جند المستعمرات والألاي التركي في الحرب القادمة، لو قُدّر لها أن تثور [١٨] !

(١٧)
من أسباب انتشار الشيوعية في الماضي

وأما الكتلة الشيوعية، فتخاطب الجماهير الكادحة، تخاطب الملايين التي تنتج كل شيء وتجوع.. تخاطب المعدات الخاوية، والأجساد العارية.. تخاطب الضحايا التي طال عليها الإهمال، وطال عليها الحرمان؛ وأصبحت تستجيب لكل من يُلَوِّحُ لها بالرغيف، وكل من يعدُها الخلاص من الترف الفاجر الداعر، الذي تزاوله على مرأى منها ومسمع فئة قليلة العدد، فاحشة الموارد، بينما الشظف الكافر السافر يحيل هذه الملايين الكادحة حطاماً، ثم يفتت ذلك الحطام [١٩]!

وهي تستخدم كذلك أخطاء الاستعمار وجرائمه، ورغبة الشعوب المستعبدة في إلقاء هذا النير عن أعناقها، والاستمتاع بالحرية الطبيعية، التي يغتصبها الاستعمار الفاجر الآثم، بمعاونة الخونة من المستغلّين في هذه البلاد.

---

[١٨] هذه هي خطة أمريكا، أن تجعل الجيوش الأخرى في مقدمة قواتها، ليتلقوا الضربة، فهي تحارب بجنود غيرها، ودور قوات التحالف الشمالي في غزو أمريكا لأفغانستان، مثل قريب لهذه الخطة الأمريكية الانتهازية!

وكم سيذبح من " الخراف العربية " في الحرب التي تعدُّ أمريكا العدة لها ضد العراق؟ سواء من الشعب العراقي، أو من باقي الشعوب العربية والإسلامية!!

[١٩] ما ذكره سيد قطب عن مظاهر الترف الفاجر الداعر قبل أكثر من خمسين سنة، لا يكاد يُذكر أمام مظاهر الفجور والتبذير والانحلال، الذي تمارسه فئة قليلة من المترفين أصحاب الثروات في عالمنا العربي والإسلامي، في هذه الأيام، الذي يتسرب إلى العامة شيء قليل منه، عبر الانترنت والفضائيات والصحف والمجلات والمنشورات!

كما تستفيد من مقاومة الصليبية الغربية والرأسمالية المحلية لكل دعوة إسلامية حقيقية، وكل عدالة اجتماعية إسلامية!

(١٨)
خطأ الانضمام إلى أي من الكتلتين

وعلى أية حال، فإن كلتا الكتلتين تحاول أن تلقي في روع البقية الباقية من العالم، أن ليس للبشرية كلها إلا أن تسلك طريقاً من طريقين، وأن تنضم إلى كتلة من الكتلتين، وأنه لا مفر من أن تنتصر الجبهة الغربية، أو أن تنتصر الجبهة الشرقية، ليسود السلام، وتنعم البشرية بالأمن، وتصل الإنسانية إلى استقرار؛ وأن انضمام البقية الباقية من العالم، هو السبيل الوحيد لتغليب إحدى القوتين على الأخرى بصفة حاسمة، لإنهاء حالة القلق والتأرجح والاضطراب.

(١٩)
خطورة انفراد أمريكا بالسيطرة على العالم

فأين وجه الحق في هذه الدعوى؟ وأين وجه المصلحة القومية والمصلحة الإنسانية في هذا الادعاء؟

إنه ليس من مصلحتنا نحن، ولا من مصلحة الإنسانية أن تتغلب الآن إحدى الكتلتين على الأخرى، وتمحوها من الوجود محواً؛ فنحن في دور استكمال وجودنا الطبيعي في الحياة، واستنقاذ مصالحنا المغصوبة بأيدي المستعمرين..

ليس من مصلحتنا أن تُهزم الجبهة الشرقية هزيمة نهائية، ولا من مصحة الإنسانية كذلك.. وإن وجود هذه الكتلة، بهذه القوة، في هذه الفترة، لهو إحدى الضمانات لنا، لنستخلص هذه الحقوق يوماً بعد يوم؟ كما أنه الضمانة المؤقتة للبشرية ألا تسيطر عليها قوى الاستعمار الجائر الغاشم الظالم [٢٠].

---

(٢٠) حديث سيد قطب عن أهمية وجود الكتلة الشرقية السوفياتية مقابل القوة الأمريكية، ليس محبة منه للاتحاد السوفياتي، ولا تأييداً منه للشيوعية، فإنه يكرهها أكثر من كرهه لأمريكا وللرأسمالية، ولكنه من باب حفظ " التوازن " بين القوى الكبرى على الأرض، لأن كل قوة تحسب حساباً كبيراً للقوة الأخرى، وهذا ما كان، عندما كان الاتحاد السوفياتي قوة كبرى، تخشاها أمريكا في الحرب الباردة والساخنة بينهما.. ووجود قوة عظمى واحدة تهيمن هلى الدول والشعوب يؤدي إلى تسلط واستبداد،

وإذا كان فينا من يحسن الظن بأمريكا، ويظن أن سيطرتها ستحدُّ من شره الاستعمار، فلينظر كيف تقف أمريكا في صف هذا الاستعمار، وكيف تمدُّه بقوة الحديد والنار عند الاقتضاء..

على أنني أعيذ البشرية أن يستبدّ بها الصلف الأمريكي السخيف، الذي قد لا يقاس إليه الصلف البريطاني ذاته في أرض المستعمرات..

إن عداوة الأمريكي للملونين عداوة كريهة بغيضة، وإن احتقاره للملونين لتهون إلى جانبه تعاليم النازية؛ وإن صلف الرجل الأبيض في أمريكا ليفوق كل ما كانت تتصوره الهتلرية!!

وويل للبشرية يوم يوقِعُها سوء الطالع في ربقة هذا الصلف الأمريكاني، بلا قوة في الأرض تخشى، ويعمل لها حِساب [٢١] !

(٢٠)
بعض ما لنا وما علينا من الكتلة الشرقية السوفياتية

كذلك نحن في حاجة مؤقتة إلى وجود الكتلة الشرقية في الأرض، لتخويف الطغاة والمستغلّين، واسترداد حقوق الجماهير المسلوبة، في ظل هذا التخويف! وإننا لندين لوجود هذه القوة بالشيء الكثير، من محاولات تحقيق العدالة الاجتماعية! ولولا الخوف من الشيوعية ما تم منها كثير ولا قليل!!

ولكن هذا كله ليس معناه أنه من الخير لنا وللإنسانية أن ينتصر المعسكر الشرقي انتصاراً حاسماً كاملاً؛ وأن يتحقق ذلك الحلم الشيوعي الواهم، ويدين للشيوعية الجميع!

وتدمير لمقومات البلاد والعباد، كما هو الحاصل الآن، عندما انفردت القوة الأمريكية الغاشمة في الهيمنة على العالم.

[٢١] ما توقعه سيد قطب قبل أكثر من خمسين سنة من سيطرة أمريكا على العالم، وانفرادها بتوجيهه وتهديده وإرهابه واستعماره، قد تحقق الآن، وكم ستخسر البشرية من هذه الهيمنة الأمريكية، المقترنة بالصلف والاستكبار والظلم والعدوان الأمريكي! ورحم الله سيد قطب فقد كان ثاقب النظرة، دقيق التحليل، وهبه اللخ فراسة إيمانية صادقة استشرف بها أحداث المستقبل، وها نحن نعيش الآن ما استشرفه وتوقعه!

إن هذا المعسكر لا يبغي لنا الخير، ولا يطيق أن تكون لنا فيه كرامة، إنه يريدنا جنوداً له أو عبيداً، لا أن يكون لنا وجود ذاتي، وكيان محترم!

(٢١)
دور الشيوعية في دعم دولة اليهود

ولقد دلتنا تجربة فلسطين على حقيقة ما تضمره لنا روسيا الشيوعية..

لقد وقفت منا موقف العداء في مجلس الأمن، كما أن أسلحة الكتلة الشيوعية لليهود هي التي وقفت في وجوهنا بفلسطين [٢٢]، ذلك أن روسيا كرهت أن يكون للأمة العربية كيان، وأشفقت أن تستحيل الكتلة العربية قوة حقيقة، تستعصي على السيدة الشيوعية في المستقبل؛ فآثرت أن تتبخر كل دعاواها في حقوق الشعوب الطبيعية، وأن تخسر أساساً من أسس دعايتها ضد الاستعمار، وأن تسمح بقيام دولة إسرائيل على أساس الدين وحده – وهو أنكر ما تنكره الشيوعية – آثرت ذلك كله على تقوية الكتلة العربية؛ وضربتها تلك الضربة القاسية المنكرة، لتقوم إسرائيل في جنبها كالشوكة، تمزق وحدتها الجغرافية، وتفصل حدودها المتصلة، وتحرمها القوة والتماسك والشخصية.

(٢٢)
روسيا تريدنا ذيلاً لها

إن روسيا عدوة وحدتنا وقوتنا ووجودنا الذاتي.. وكل ما تلوكه ألسنة دعايتها هو مجرد أسلحة في صراعها مع الكتلة الغربية، كدعاية هذه الكتلة ضداه، سواء بسواء..

إنه لا بأس في نظر الشيوعية الروسية أن نأبى على الكتلة الغربية استخدام مواردنا في الحرب ضدها، أما أن يكون لنا كيان ذاتي، وقوة شخصية، ووجود قومي، فلا..

وإن دعاها فلا بلادنا ليفزعون، كما لو كانت قد لدغتهم أفعى، إذا سمعوا دعوة للتكتل، الذي يوجد لنا شخصية قوية.. إنهم لا يبدوننا إلا ذيولاً ذليلة، تنعق بالشيوعية،

[٢٢] للاتحاد السوفياتي والدولالشيوعية السابقة دور كبير في دعم دولة اليهود على أرض فلسطين، والتمكين لها، وإمدادها بالمساعدات والرجال والتأييد، ابتداء من اعتراف الاتحاد السوفياتي بدولة اليهود بعد ساعات من قيامها عام ١٩٤٨، حيث جاء اعترافه بها بعد اعتراف أمريكا مباشرة، فكان بذلك ثاني المعترفين بها.

وتؤدي لها التسهيلات الممكنة في أرضنا، حين يستعر القتال! وهو وضع تأباه علينا مصالحنا، بل يأباه مجرد الشعور بأننا ناس، لا سوائم ولا أشياء!!

(٢٣)
الشيوعية مصادمة للفطرة

والشيوعية قد يكون لها اليوم لألاء، في عيون الكادحين المحرومين، الذين تُصاغ كماؤهم يواقيت للتحور والصدور، ويقطر عرقهم كؤوساً للسكارى والمحرومين.. ولكن تصور البشرية كلها نسخاً مصبوبة في قالب الشيوعية الواحد، لا يسمح لفكر واحد فيها أن يشذ، ولا لقلب واحد فيها أن ينبض بخالجة لا يرضاها لينين وستاليم.. هذا التصور وحده تقشعر منه الأبدان، ويشفق من تحققه كل إحساس آدمي سليم!..

(٢٤)
التبنؤ بقوة أوروبا واليابان وزوال الاتحاد السوفياتي

على أن طبيعة الحياة تأبى الانتصار الكامل الحاسم لقوة واحدة من هاتين القوتين الماديتين [٢٣]، اللتين لا يفرق بين طبيعتهما إلا اختلاف المصالح والمطامع، وإن الهزيمة لتنبت في زحمة النصر، كما ان النصر ينبت في ركام الهزيمة!! وها نحن أولاء نرى أن الحلفاء الذين بذلوا ما بذلوا ليقهروا ألمانيا واليابان، ينحنون اليوم على الحطام والأشلاء، ليستنقذوا منها المارد الذي صرعوه بالأمس، كي يستعينوا به على المارد الجديد.. نفسس الذي فعلوه. بعد الحرب العالمية الأولى.. ولئن انتصروا غداً على الجبهة الشرقية، فليواجهن ألمانيا من جديد [٢٤] !!

ولئن انتصرت الشيوعية، فلينبتن لها عدوها من ذات نفسها، من الضغط والكبت اللذين لا تطيقهما البشرية طويلاً! وقد بدأت يوغسلافيا، حتى قبل المعركة، وسيتبعها

[٢٣] طبيعة الحياة الدولية المتوازنة أن تتحكم قوة واحدة في العالم مدة طويلة، فلا بد من قوتين كبيرتين أو أكثر، ليتم التوازن بين القوى المختلفة المتصارعة المتحكمة في العالم، وقد انفردت أمريكا في هذه السنوات في السيطرة الظالمة على العالم، بعد تحطيم الاتحاد السوفياتي، ولكن هذا لن يستمر لمدة طويلة، لأنه لا يتفق مع طبيعة الحياة الدولة، ولا بد من ظهور قوة كبيرة أخرى تقف أمام قوة أمريكا! وها هي أوروبا بدأت في إثبات قوتها أمام أمريكا!

[٢٤] تسعى ألمانيا لشق طريقها، والوقوف أمام أمريكا، وتفعل فرنسا نفس الشيء، وستواجه أ/ريكا قوة ألمانيا من جديد في القريب، كما توقع سيد قطب قبل أكثر من خمسين سنة.

التشقق في المعسكر الشيوعي لنفس الأسباب [٢٥] !! أو بسبب الجمود والتوقف، الناشئن من صب البسرية كلها في قالب واحدح تسيطر عليه فكرة واحدة، لا تسمح بأي تطور بعد مرحلة الشيوعية، التي تعد ختاماً للحلم الماركسي لا تتعداه! إنها للعنة لا تصاب بها الإنسانية إلا وقد أريد بها شر عظيم!

(٢٥)
لا يتحقق اللسلام العالمي على يد إحدى الكتلتين

إنه لمن السذاجة أن نتصور أننا نستطيع أن نجحني ثمرة السلام العالمي من وراء اصطدام هاتين الكتلتين الضخمتين في حرب حاسمة أخيرة.

ولقد كان الطيبون الأبرياء في العالم يتخيلون هذه الثمرة الحلوة يانعة بعد كل من الحربية الماضيتين؛ فلم تطلع شجرة الحرب إلا ثمرات مُرَّة، تجرعها هؤلاء الطيبون الأبرياء، وكان الجنى الحلو كله للطغاة والمستغلين، من الشرقيين أو الغربيين!

[٢٥] من صدق فراسة وتوقع سيد قطب هذه الفراسة الإيمانية النافذة، فقد تحقق ما توقعه بالنسبة للمعسكر الاشتراكي، حيث بدأ التشقق من يوغسلافيا، ثم في " ربيع براغ " في تشيكوسلوفاكيا، ثم في بولندا، وحكم الاتحاد السوفياتي " غورباتشوف " الذي أزال الاتحاد السوفياتي، وألغى الشيوعية ن وعادت روسيا دولة نصرانية أرثوذوكسية، وذلك بعد أربعين سنة من هذا الكلام الذي قاله سيد قطب!!

ثالثاً

طريق الخلاص

(٢٦)
بلادنا ميدان الحرب الأمريكية القادمة

إن طريق الخلاص للبشرية المنكودة الطالع لن يكون هو الانضمام إلى هذا المعسكر أو ذاك ن ليسحق أحدهما الآخر سحقاً، ويخلو له وجه العالم ن يسيطر عليه وحده، ويسيِّره كما يريد!

إن المعركة في صميمها ستدور في أرض غير أرض الكتلتين.. ستدور في تركيا وإيران.. والعراق وسورية، ومصر والشمال الأفريقي.. وفي باكستان وأفغانستان.ز وفي منابع البترول الإيرانية والعربية في عبّادان والظهرات [٢٦].

إنها ستدمر مواردنا نحن، وتحطم حياتنا نحن، وتدع ارضنا بقعاً خراباً يباباً.. وسواء علينا انتصرت هذه، أم انتصرت تلك، فسنخرج نحن من المعركة فتاتاً وحُطاماً!! لا كما خرجت أوروبا من الحروب الماضية، وولكن كما لم تخرج أمة من حرب قط!

وإذا كانت " هيروشيما " قد ذهبت مثلاً، بقنبلة ذرية صغيرة، فسنكون نحن تلك الفئران الصغيرة، لتجارب القنابل الذرية، والقنابل الهيدروجينية، وغاز الموت الزاحف،

---

(٢٦) أمريكا حريصة على أن تحارب على غير أراضيها، لتقي بلادها ومواردها ومنشآتها أخطار الحرب، إنها تريد أن تدمر البلاد الأخرى. فهي تحارب على غير أرضها، وبغير أموالها، وبغير جنودها، لتحقيق مصالحها ومنافعها!

وما قاله سيد قطب في الأقطار العربية التي ستنشب فيها الحرب، تحقق بعد ذلك، في بعض الأقطار التي ذكرها، لقد وقعت حرب الخليج الأولى والثانية في دول منابع البترول في الخليج والعراق وإيران، ووقعت حرب أفغانستان بعد ذلك، والآن الحشد للحرب ضد العراق، لقد تحقق ما توقعه سيد قطب في فراسته الإيمانية النافذة!!

وأشعة الموت السحرية، وحرب الميكروبات الطائشة، وسائر ما يتمحض عنه الذهن الكافر ، في دنيا الضمير الغربي الملوَّث.. [٢٧].

(٢٧)
التحالف المريب بين الرأسمالية المحلية والاستعمار الأمريكي

إن دعاة الكتلة الغربية هنا يمنّوننا بحل قضايانا المعلّقة مع الاستعمار، إذا نحن انضممنا إلى معسكر الرأسمالية، الذي يدعونه معسكر الديقمراطية! كأننا لم ننضم إلى هذا المعسكر مرتين متواليتين، وكأننا لم نُلدغ من ذلك الجُحر مرتين.. وأنا أعرف السبب في ذلك الموقف الغريب المريب.. إنه تلك المحالفة الطبيعية بين الرأسمالية المحلية والاستعمار الغربي.. إنه المصلحة المشتركة بينالمحتلين والمستغلين..

إن الطغاة والمستغلين هنا لا يطيقون أن يترلوا عن القليل مما مردوا عليه من طغيان واستغلال.. وهم يدركون جيداً أن الاستعمار هو سندهم الطبيعي وأنه هو " أوجدهم " وأنشأهم، ومنحهم النفوذ والثراء..

فهو الذي كافأ الخونة، الذين خدعوا جيش " عُرابي " وساعدوا جيش الاحتلال في مصر [٢٨]. ووهب لهم الضِّياع والأموال، حتى لقد أضبحوا اليوم يدعون " أبناء البيوتات " ويلقبون " بالأسر الكريمة " [٢٩].

والاستعمار يصنع هذا في كل مكان، وأقرب الأمثلة الأخيرة ذلك " الجلاوي " الخائن قس مراكش، الذي لا يستحي أن يفخر بمصرع نجله في حملة فرنسية على الوطنيين المسلمين في البلاد [٣٠] !

---

[٢٧] هذه هي مكاسبنا من الحرب التي ستشعلها أمريكا على أرضنا! وهذا هو ما جنيناه من حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران، وحرب الخليج الثانية ضد العراق، وحرب أفغانستان وإسقاط نظام " طالبان "، وهذا ما سنجنيه من الحرب الشاملة التي تحشد لها أمريكا ضد العراق في هذه الأيام!! وهذا ما تريده أمريكا بنا، وما تقدمه لنا!!

[٢٨] كان " أحمد عرابي " قائداً للجيش المصري، وحشد جنوده لقتال الجيش الإنجليزي، الذي كان يطمع في غزو مصر، ووقعت معركة " التل الكبير " سنة ١٨٨٢، وغدر الخونة في الجيش المصري بقائدهم أحمد عرابي، وانضموا إلى الإنجليز، وانتهت المعركة بهزيمة أحد عرابي، ونتج عنها الاحتلال الإنجليزي لمصر.

[٢٩] كتب هذا الكلام في عهد الملك المخلوع، وأبقيناه في هذه الطببعة للتسجيل التاريخي (سيد قطب).

(٢٨)
المنتفعون من الحرب الأمريكية هم أغنياء الحرب المحليون

وماذا على السادة أن تصبح الجماهير وقوداً للحرب الجديدة؟

إن الحروب تضاعف أموالهم، وتؤدي عنهم الديون، التي تثقل أراضيهم وشركاتهم، إن كانوا أسرفوا على أنفسهم بخسائر القمار، أو بالمتاع الفاجر الداعر الذي يذهب بالأموال.. وإنهم ليطمئنون في ظل الأحكام العرفية التي تصاحب الحرب، إلى حماية أشخاصهم من الفضائح.. وإلى تكميم الأفواه، وتحطيم الأقلام.. وإلى البطش بالأحرار، الذين يوقظون الجماهير لحقوق الجماهير.. وإنهم في مأمن من ويلات الحرب بأرواحهم، كما هم في مأمن منها بأموالهم.. فضريبة الدم لا يؤديها في بلاد الشرق إلى الفقراء! ولقد رأينا في معارك فلسطين كيف كان الضباط من " أولاد الذوات " يجنّبون ويلات الحرب في الميدان، ثم يُمنحون أوسمة الشجاعة، وهم في القاهرة، غارقون في المواخير و " الكباريهات "! فماذا على السادة أن يربطوا بلادهم بعجلة الرأسمالية – حليفتهم الطبيعية – وهم في مأمن من كل خسارة؟ وماذا على الرأسمالية الغربية أن تزدري صيحات الشعوب للحرية، وفي يدها زمام السادة، الذين يعرفون أولياء نعمتهم الحقيقيين وحماتهم الأصليين [٣١] ؟!

(٢٩)
ليس طريق الخلاص بالانضمام إلى الكتلة الشيوعية

وأما دعاة الشيوعية فإنهم يمونوننا بالخبز والسلام، إذا نحن انضممنا إلى صفوف الشيوعية، حتى تنتصر الشيوعية..

ونحن في حاجةٍ حقاً إلى الخبز والسلام، ولكننا في حاجة معهما إلى القوة والكرامة..

---

[٣٠] وهذا ما فعله صنائع " أمريكا في المنطقة، مثل " رباني ودوستم وحامد قرضاي " في أفغانستان، وقادة المعارضة العراقية، من أمثال : أحمد الحلبي، ووفيق السامرائي، ونزار الخزرجي، وغيرهم كثيرون!

[٣١] هذه الطبقة من الانتهازيين أغنياء الحرب موجودة في بلاد العالم الإسلامي، فبينما يضحي الآخرون، يتقدم هؤلاء لقطف الثمرة، وهم المستفيدون من الحرب القادمة، كما استفادوا من الحروب الماضية، ومصيبة البلاد الإسلامية في هؤلاء كبيرة!!

والشيوعية تأبى عليما أن يكون لنا وجود ذاتي، أو أن نرفع رؤوسنا كآدميين. وها هي ذي تقدم لنا المثل في موقفها من ربيبتها الأولى " يوغسلافيا "، حينما همت أن يكون لها في ذاتها وجود..

والشيوعية قد تكون الطريق الوحيد في أوروبا المسيحية لتحقيق عدالة اجتماعية مادية.. ولكنها ليست الطريق الوحيد في بلادنا، حتي نملك وسائل أخرى لتحقيق عدالة اجتماعية أشمل وأكرم من عدالة الشيوعية المادية، لا تسلبينا وجودنا الذاتي، ولا تقاوم رغبتنا الطبيعية في الكرامة، وهي عندنا أكرم وأولى..

(٣٠)
طريق خلاصنا في استقلالنا الحقيقي عن أمريكا

إن طريق الخلاص هو أن تبرز إلى الوجود ن أرض المعركة المنتظرة كتلة ثالثة، تقول لهؤلاء ولهؤلاء: لا! إننا لن نسمح لكم بأن تديروا المعركة على أشلائنا وحطامنا، إننا لن ندع مواردنا تخدم مطامعكم، ولن ندع أجسادنا تطهر حقول ألغامكم، ولن نسلمكم رقابنا الخراف والجِداء [٣٢] !

إن هذا وحده هو الذي يعيد إلى الأدمغة المحمومة شيئاً من الهدوء، وإلى الخطوات المجنونة شيئاً من الاتزان..

ثم يشعر هؤلاء أن في هذه الرقعة الفسيحة الضخمة الهائمة ناساً، يحسب لهم حساب، لا كميات هائلة، ولا ماشية وأذناب!

وإن الذين استعمرت دعايات الكتلتينن وأرواحهم ليقولون: إن هذا مستحيل، ما إليه من سبيل، فنحن لا نملك القوة التي نقف بها حاجزاً بين الكتلتين، وستدوسنا الأقدام من هنا أو من هناك، لا يغني عنا أن نعلن الحياد، أو أن ننضم إلى هذا أو ذاك!!

[٣٢] هذا ما يجب أن يقوله المسلمون في العالم الإسلامي لأمريكا، مهما كانت مواقعهم ومراكزهم ومسؤولياتهم، وأن لا يوافقوا على أن تحقق أمريكا مصالحها من الحرب القادمة على حسابهم!! إن حرص المسلمين على العزة والكرامة، ورفضوا تاذل والهوان، ورغبوا في حماية أوطانهم ومواردهم من أطماع الأمريكان، فهذا هو أضعف الإيمان!

(٣١)
وجوب مواجهة المحتلين

وأنا أدرك كيف تستعمر الدعاية الأرواح والأذهان، ولكني لا أدرك كيف يهون الناس على أنفسهم إلى هذا الحد المزري، وكيف لا يخجلون أن يصبحوا بإرادتهم عبيداً وأشياءً [٣٣]!

إن جيشاً ما لا يأمن أن يدير المعركة في أرض معادية، يتربص به أهلها الدوائر؛ ويتلفون ذخيرته ومؤنه، ويقطعون خطوطه ومواصلاته، ويتجسسون عليه للعدو، ويحرمونه الهدوء والراحة، سواء سالمهم فتركهم على ما هم فيه، أو تولى الحملة عليهم، ليواجه الثورة الداخلية، بينما هو يواجه الأعداء في الميدان!

ولقد هُزِمَ الجيش الألماني الظافر مرتين، بسبب الثورات والانتفاضات الداخلية، قبل أن يُهزَم في ميادين القتال..

وما من جيش يواجه عداءَ الشعوب وهو آمن، في قديم الحروب أو حديثها.. وما يؤمن بذلك إلا المستفلون الأذلاء.إن هذه الشعوب التي تعد مئات الملايين، والتي تتحكم مواقعها الاستراتيجية في نتائج أية حرب عالمية، وتتحكم مواردها الطبيعية في النصر والهزيمة.. غن هذه الشعوب لا تعجز عن شيء حين تريد! وكل قول غير هذا هراء [٣٤] !

---

[٣٣] ننصح بقراءة فصل: " العبيد " وفصل: " ضريبة الذل " من كتاب " دراسات إسلامية " للشهيد سيد قطب، لمعرفة ملامح العبيد الذين يسيرون إلى العبودية برغبة ولذة واستمتاع، ويدفعون كرامتهم ضريبة لذلهم واستعبادهم، وما أكثر هؤلاء في عالمنا الإسلامي المعاصر!

[٣٤] الدفاع عن الأوطان والإنسان واجب، ولا يجوز ترك الأعداء المحتلين يسروحن في بلاد المسلمين، وكأنهم في " نزهة "!

رابعاً
كلمة الإسلام

(٣٢)
الإسلام يحرم مساعدة الأعداء المحتلين

ذلك ما ينطق به الواقع، وما تؤدي إليه النظرة العملية للأوضاع والأشياء! فأين كلمة الإسلام في الموقف من واقع الأوضاع والأشياء؟

إن هذا الإسلام بمبادئه الكلية عن الحياة، وبفكرته العامة عن السلام.. يلعن هذه الحروب التي تخوضها البشرية في هذه الأيام، ويلعن الأسباب التي تدفع بها إلى الوجود، ويلعن الداعين إليها، والخائضين فيها..

إنها حرب ملعونة الدوافع، ملعونة الوقائع، ملعونة النتائج.. لأنها كلها حرب على كلمة الله في الأرض، وحرب على المبادئ العليا التي أراد.. ومن فالإسلام يحرم علينا أن ننضم إلى قوى الطاغوت في الأرض، وأن نعاون على الإثم والعدوان. قال تعالى: {**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ..**} [النساء: ٧٦].

وما من شك أن بواعث هذه الحرب وأهدافها ليست في شيء من كلمة الله، وليست بحال من الأحوال في سبيل الله.

(٣٣)
الإسلام يحرم المعاهدات واتفاقيات مع الأعداء

٢) وإن الإسلام ليحرم علينا أن نمد أيدينا إلى الذين يؤذون المسلمين، ويخرجونهم من ديارهم، ويظاهرون على إخراجهم. قال تعالى: {**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ**} [الممتحنة: ٩].

ولقد اشتركت إنجلترا وأمريكا ومعهما روسيا في إخراجنا من ديارنا بفلطين، وكل دار للمسلمين في الأرض دارنا.. ولقد اشتركت فرنسا في إيذائنا ومقاتلتنا في الشمال الأفريقي كله، وما تزال.. ولقد قاتلونا جميعاً في الدين، وما يزالون.. ومن ثم فكل معاهدة، وكل تعاون، مع واحدة أو أكثر من هذه الدول الأربع، يحرمها الإسلام تحريماً،

ويعد الدولة التي تعقدها خارجة على نص إسلامي صريح [٣٥]؛ فلا طاعة لهذه الدولة على رعاياها في هذا المنكر، بل على الأمة أن ترد الدولة عن املنكر بكل وسيلة وبكل طريق!

(٣٤)
وجوب جهاد المعتدين

٣) وإن هذا الإسلام ليحتم علينا أن ندفه عن البشرية الظلم، وأن نبدأ بأنفسنا، في دفع هذا الظلم عنا.. وليس ظلم على وجه الأرض من الاستعمار.. وهو يتمثل بالقياس إلى الوطن الإسلامي الآن في ثلاث دول ظالمة عادية: إنجلترا، وفرنسا، وإسرائيل [٣٦].

ومن ثم فالإسلام يدعونا لأن نجاهد هذه الدول في كل ميدان، وأن نمتشق الحسام في وجهها، في أول فرصة تسنح، وأن نعد أنفسنا في حالة حرب معها، حتى تكف عن هذا العدوان [٣٧]. قال تعالى: {**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ**} [البقرة: ١٩٠].

(٣٥)
وجوب المقاطعة التامة للمعتدين المحتلين

٤) وما ينطبق على الدول والحكومات في هذا المجال، ينطبق على الجماعات والأفراد.

---

[٣٥] الإسلام يحرم المعاهدات والاتفاقيات مع الدول المعادية، التي تحارب المسلمين، أو تحتل أزاء من بلادهم، وما ذكره سيد قطب عن الدول الأربع الكبرى : فرنسا وبرطيانيا وروسيا وأمريكا، ينطبق على الدول التي ما زالت تحاربنا، أو تحتل بلادنا، وفي مدقمتها : بريطانيا وفرنسا وأمريكا، ودولة اليهود على أرض فسطين، فيحرم عقد المعاهدات مع هؤلاء الأعداء المحتلين!

[٣٦] لا أدري لماذا أسقط سيد قطب اسم أمريكا من الدول الكثر ظلماً لنا واعتداء علينا، مع أن كلامه كله عن شدة عداوة أمريكا لنا، وحرصها على استعمارنا.

إننا نرى في مطلع القرن الحادي والعشرين دولة اليهود على أرض فلسطين المغتصبة هي الأشد عداوة لنا، ثم أمريكا التي هي " الذراع الضاربة " لدولة اليهود، والمنفذة لمخططات اليهود ضدنا، ثم بريطانيا التي لم تتوقف عن عداوتنا والتآمر علينا، فهذه هي الدول الثلاثة الأشد عداوة لنا، والتي يجب أن نجاهدها، ونحارب مصالحها في كل مكان، وأن لا نمكّن لها على بلادنا وأوطاننا.

[٣٧] هذا ما يجب أن يعلمه المسلمون في العالم الإسلامي كله أنهم في حالة حرب مع اليهود المحتلين لفلسطين، وفي حالة حرب مع أمريكا المحتلة لبلاد المسلمين، وفي حالة حرب مع روسيا المحتلة لبعض أقطار المسلمين، ولكل دولة ظالمة تحتل جزءاً من بلاد المسلمين، أو تخطط لإخضاع وإذلال المسلمين.

فكل شركة، وكل مؤسسة مالية أو تجارية، وكل فرد، يتعاون مع هذه الدول، أي نوع من التعاون.. هو خارج على الإسلام، مخالف عن أمر الله، خارج على الأمة المسلمة، مؤذ للمسلمين في كل مكان..

وهؤلاء المقاولون الذي يوردون الأطعمة أو المهمات لجيوش هذه الدول في أي كان. وهؤلاء العمال الذي يعملون لهم في المعسكرات، أو يقومون لهم بالشحن في الموانئ وسواها.. وهؤلاء " المشايخ " المحترفون، الذين تستخدمهم شركات الاستعمار لإنقاذها من الورطات.. إنما يخونون الله ورسوله، ويخونون المسلمين، ويختانون أنفسهم، ويعصون الله ورسوله، كلما امتدت أيديعن بلقمة، أو خدمة، أو معونة، أو فتوى [٣٨]..

إن الإسلام يحتم على كل فرد، وكل هيئة، وكل حكومة، وكل دولة. في كل بلد إسلامي، أن يجاهد هذه القوى الباغية، وأن يكافحها، وأن يوجه إليها الطعن التي يستطيعها، بالطريق الذي يستطيعه.. فنحن في حالة حرب دائمة معها، حتى تكف عن العدوان علينا، وتكف عن البغي في الأرض كافة!

هذه هي كلمة الإسلام، صريحة واضحة، عالية مدوية [٣٩]، تفتح لنا طريق الخلاص، وترسك للبشرية كلها طريق السلام، السلام الكامل الشامل، المبرّأ من البغي والفساد والعدوان.

(٣٦)
وجوب التطبيق الصادق للإسلام

فأما كيف تتحقق كلمة الإسلام هذه في واقع الحياة؟ فالجواب أنها لا تستطيع في الظروف العالمية الراهنة أن تتحقق إلا أن تخطو الأمة الإسلامية خطوتين متلازمتين:

---

[٣٨] كثرت الفتاوى الباطلة من " المشايخ "، الذين احترفوا الفتاوى والتبريرات للأعداء، من اليهود والأمريكان، يمكّنون لهم بفتاواهم في بلاد المسلمين، ويحرمون على المسلمين جهاد الأعداء ويحاربون في فتاواهم المجاهدين في عملييالهم الجهادية الاستشهادية، بدل أن يحاربوا الأعداء المحتلين.

[٣٩] ما قاله سيد قطب بصراحة ووضوح في النقاط الأربعة السابقة، هو كلمة الإسلام، في مواجهة الحرب والعدوان، وهي لا تنطبق على الأعداء قبل أكثر من خمسين سنة فقط، وإنما تنطبق على الحرب الأمريكية القادمة على بلاد المسلمين، والعدوان اليهودي على أهلنا في فلسطين، والغزو الروسي لإخواننا في الشيشان، وغير ذلك، ولا بد من إعلان كلمة الإسلام والالتزام بها.

الخطوة الأولى: هي الرجوع إلى حكم الإسلام في داخل كل دولة من دويلاتها ودولها القائمة.. واستمداد القوانين والتشريعات من الشريعة الإسلامية. وتنفيذ المبادئ الخلقية والاقتصادية والاجتماعية المستمدة من هذه الشريعة، وصياغة مناهج تعليمها وتربيتها وبرامجها، في ظل الفكرة الإسلامية عن الحياة!

(٣٧)
إيجاد الكتلة الإسلامية المستقلة

والخطوة الثانية: هي تكتل هذه الدويلات والدول تحت الراية الإسلامية تكتلها في ميدان السياسة الدولية، وفي المجال الاقتصادي، وفي المجال الحربي سواء.. تكتلها على أساس:

أنها أولاً: تطلب الاستقلال والحرية كاملين، ولها ولأهلها جميعاً وأنها ستكون حرباً على كل معتد على هذا الاستقلا.

وأنها ثانياً: تقف ضد كل اعتداء وكل استعمار، من أي نوع، على ظهر هذه الأرض جميعاً.

(٣٨)
مظاهر قوة الكتلة الإسلامية

وهذه الكتلة المتجانسة هي التي تملك أن تحمل راية جديدة، تمثل فكرة إنسانية جديدة، وتلوح بها للبشرية الضالة المعذبة الشقية المنكودة.

هذه الكتلة المتصلة الحدود، من شواطئ الأطلنطي إلى شواطئ الباسفيكي، والتض تضم مراكش وتونس والجزائر وليبيا ووادي النيل وسوريا ولبنان والعراق والأردن والجزيرة العربية واليمن، وتركيا وإيران وأفغانستان وأندونيسيا.

هذه الكتلة التي يربى عددها على ثلاثمائة مليون من السكان [٤٠]. والتي تملك أغنى منابع البترول والمواد الخامة [٤١]، والتي تتحكم بمواقعها الاستراتيجية في مواصلات العالم.

---

[٤٠] كان هذا قبل أكثر من خمسين سنة، أما الآن فإن عدد سكانها يزيد على مليار ونصف!

هذه الكتلة تملك أن يكون لها وزن، حتى لو كانت مجردة من السلاح، وتملك أن تجعل كل كتلة من الكتلتين المتنازعتين تفكر مرتين قبل افقدام على حرب، تجتاح فيها هذه المناطق الشاسعة، التي تقوم مصرة على سياستها الاستعمارية، الطاغية الباغية في هذه الأرض، المنكوبة بلعنة الاستعمار!

هذه الكتلة تملك هذا كله، إذا وصلت درجة اليقظ فيها إلى الحد الذي تقف به في وجه الدعايات المزيفة، التي يقوم بها دعاة كل من الكتلتين فيها..

إذا هي عرفت كيف تجبر حكامها والمستغلين فيها على انتهاج سياسة إسلامية خالصة.. إذا هي نظمّت اقتصادياتها وإمكانياتها، وخلّصتها من " الاستعمار الاقتصادي "[٤٢]، الذي يمكّن له فيها حكامها، وأصحاب رؤوس الأموال المستغلون، الذين لا يهمهم وطن ولا قومية ولا دين.

(٣٩)
الأمل في المستقبل والشعوب قادرة على التغيير

وأنا أكتب هذا للشعوب، لا للحكومات. أكتبه للجماهير، لا للمستغلين.. وأنا مؤمن بالشعوب والجماهير، في تلك الرقعة العريضة من الأرض!

وأياً ما كانت عوامل الضعف والفرقة، وعوامل الضغط والكبت، فإن واجب الدعاة إلا يفقدوا إيمانهم بالشعوب [٤٣].

---

[٤١] معظم منابع البترول في دول إسلامية، مثل : الجزائر وليبيا ودول الجزيرة العربية والعراق وإيران، والدول الإسلامية المحيطة ببحر قزوين.

[٤٢] الاستعمار الاقتصادي أبشع من الاستعمار العسكري والاحتلال املباشر، والمصيبة أن بلدان العالم الإسلامي مستعمرة قبل أمريكا استعماراً سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وثقافياً وفنياً، وها هي أمريكا تعود لوضع جنودها وقواعدها في العالم الإسلامي بحجة محاربة العراق، أي أن الاستعمار العسكري عاد من جديد!

[٤٣] كانت نظرة سيد قطب للشعوب والجماهير إيجابية، يحترمهم ويقدّر دورهم، ويثق بهم، ويأمل بما عندهم، ويعتقد أنهم يقدرون على فعل الكثير، بينما غسل يديه من المسؤولين والحاكمين.. ولا بد للدعاة من انحيازهم إلى جانب الشعوب، والعمل على تبصيرهم وتوعيتهم، وتجنيدهم لمواجهة العدوان.

فالشعوب تملك حين تريد.. تملك أن تسبب المتاعب للأقوياء، ولحلفائهم من أهل البلاد.. تملك أن تكلف هؤلاء وهؤلاء عنتاً دائماً ن لا يأمنون معه الاندفاع، ولا يحمون معه ظهورهم من الاضطراب والانتقاض..

ولقد آن للشعوب أن تضع حداً لذلك العبث الآثم، الذي يزاوله حكامها والمستغلون فيها، وأن تقرر مصائرها بأيديها، وتقطع كل يد تعبث بهذه المصائر، لغاية خاصة لا تعني هذه الشعوب..

(٤٠)
العودة إلى الإسلام طريق الخلاص الوحيد

لقد ضاعت فلسطين على مذبح المنافسات بين عدة بيوت حاكمة، لا لأن قوى الأمة العربية – أياً كانت ضعيفة – عجزت عن الوقوف أمام حفنة من اليهود، مهما جاءتهم النجدة من الكتلة الشيوعية والكتلة الرأسمالية..

ولو كان في مجموعة الشعب العربي من الحيوية إذ ذاك ما تُحطّم به من أطماع الطامعين، وتضرب على أيديهم العابثة، ما وقعت الكارثة.

وما وقعت الكارثة إلا أن الرايات المتفرقة، رايات القوميات الهزيلة، قد جعلت لأطماع الدويلات وبيوتها الحاكمة المقام الأول، والكلمة الغالبة.

إن العودة إلى راية الإسلام الواحدة هي الطريق الوحيد الباقي، إن هذه الراية اليوم هي شارة الخلاص. وإن كلمة الإسلام لهي الكلمة الأخيرة، التي ينادي بها المسلمون للنجاة، بل تتنادى بها البشرية للأمن والحياة [٤٤].

[٤٤] السلام العالمي والإسلام : (١٥٦ – ١٧٩)، الطبعة الثانية ١٩٥٢، نشر مكتبة وهبة – القاهرة.